مراجعة الكتب

سلام للبشر

تأليف أندراوس بشته وعادل تيودور خوري

بالاشتراك مع محمود زقزوق، فوتفريد فانوني، غرهارد لوف، محمّد مجتهد شبستري،

نور كلش مجيد وك. أبراهام

وإعداد منير باسيل عون

المجلّد الثالث من سلسلة «المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون» (مركز الأبحاث في الحوار المسيحيّ الإسلاميّ CERDIC)، المكتبة البوليسيّة، جونيه، لبنان، ١٩٩٧، ٣٩٢ صفحة

ورد في المقدّمة: «مَن أراد أن يخدم الله عليه أيضًا أن يخدم قضيّة السلام». هذه العبارة تختصر أحسن اختصار ما جاء في الحديث عن اللقاء المسيحيّ الإسلاميّ الدوليّ الذي تُنشر أعماله في هذا الكتاب. إجتمع مسلمون ومسيحيّون من مختلف أقطار الأرض ليسائلوا أنفسهم كيف يرون ويقدّرون، هم المنتمين إلى جماعتَين دينيّتَين في العالم، قضيّةً تزداد ضرورة، قضيّة التعايش السلميّ بين أناس تختلف ثقافتهم وأديانهم وشعوبهم وأقوامهم، وأناس ينتمون إلى مناطق اقتصاديّة مختلفة، ويعيشون في أقطار عديدة يختلف بعضها عن بعض اختلافًا شديدًا في نموّها التقنيّ والحضاريّ. وتمّ الاتّفاق بينهم على أنّ المسيحيّين والمسلمين لهم «توجّه أخلاقيّ أساسيّ لحياتهم نحو الله»، وهو توجّه مشترك، وعليهم مهمّة مشتركة وهي خدمة التعايش الناجح بين جميع الخلائق، إذ إنّ الله في اعتقاد المسلمين والمسيحيّين هو إله السلام، وهم يعلمون أنّ «مَن يريد أن يخدمه، عليه أيضًا أن يخدم قضيّة السلام».

من بين الشخصيّات التي ألقت كلمات التحيّة: عصمت عبد المجيد الأمين العامّ لجامعة الدول العربيّة - والأمير الحسن بن طلال، وليّ عهد المملكة الهاشميّة الأردنيّة - والكردينال فرنسيس أريتز، رئيس المجلس البابويّ للحوار بين الأديان - والمطران جورج خضر، أسقف جبل لبنان - والمطران هنري تيسيه، رئيس أساقفة الجزائر - وأحمد كنتارو، المفتي العامّ للجمهوريّة العربيّة السوريّة.

أمّا المحاضرات التي أُلقيت في الجلسات العامّة، فأصحابها وعناوينها كالتالي:

- محمود زقزوق: السلام في التصوّر الإسلاميّ، مفهوم السلام في العالم وضرورته.
- فوتفريد فانوني: جذور السلام في الكتاب المقدّس والتقليد المسيحيّ.
- غيرهارد لوف: السلام وحقوق الإنسان في منظار الكنائس.
- محمّد مجتهد شبستري: أسس الحريّة اللاهوتيّة والفقهيّة، استقلال الإنسان وسيادته في نظر الإسلام، كقاعدة للسلام العالميّ المرغوب فيه جدًّا.
- نور كِلش مجيد: التعدّديّة الدينيّة والاجتماعيّة السياسيّة، نظرة إسلاميّة في إطار التجربة الإندونيسيّة.
- ك. أبراهام: التعدّديّة الاجتماعيّة السياسيّة والتضامن العالميّ من منظور التحرّر.

وفي المناقشات الواسعة التي تلت كلًّا من الجلسات العامّة، قام بمداخلات أشخاص

ينتمون إلى جميع التيّارات الإسلاميّة (من سنّيّة وشيعيّة) والمسيحيّة (من أرثوذكسيّة وكاثوليكيّة وبروتستانتيّة)، لا يمكننا أن نذكر أسماءهم لأنّ عددهم تجاوز الأربعين. ولقد تمّت هذه المداخلات في أجواء سادها الطابع العلميّ وحرّيّة التعبير. ودُوِّنت جميع الملاحظات والردّ عليها، بعد أن وافق كلّ من المشتركين فيها على تلخيص ما تكلّم عليه.

ومن حسنات هذا الكتاب أنّنا نجد في ذيله:

- لائحة بجميع المشتركين في المؤتمر مع اختصاصاتهم وعناوينهم.
- وفهرسًا بالأعلام الذين ورد ذكرهم في المؤتمر.
- وفهرسًا بمصادر القرآن الكريم والكتاب المقدّس التي ورد ذكرها في المؤتمر.

وفي الختام، نتمنّى، مع صاحب مقدّمة الكتاب، أن تكون المجموعة من كلمات التحيّة والمحاضرات والمناقشات «فاتحة تعاون أوسع في سبيل إحلال سلام عادل ومثمر في العالم».

أ. صبحي حموي

Vivre avec l'Islam:
Réflexions chrétiennes sur la religion de Mahomet
Dirigé par Annie Laurent
Editions Saint-Paul, Versailles, 1996, 283 pages

العيش مع الإسلام؟
خواطر مسيحيّة في الديانة المحمّديّة

إختارت المؤلّفة والباحثة الفرنسيّة آني لُوران مجموعة من المختصّين بالشؤون الإسلاميّة للإجابة عن الكثير من الأسئلة الواقعيّة التي تُطرح حول الديانة الإسلاميّة، ومنها في باب أوّل، علاقة الإسلام بالسياسة، الفِرَق الإسلاميّة، العُنف والتقديس في القرآن، الجهاد، الخطيئة، الزواج والعائلة، إلٰه القرآن من منظور المنطق الصوريّ والإسلام كنبوءة. وفي باب ثانٍ يدور حول الحوار بين الأديان، مداخلات في التوجّهات الكنسيّة منذ المجمع الفاتيكانيّ الثاني، طُرُق المحاورة، الكنيسة في فرنسا والإسلام، الحجاب الإسلاميّ، الهجرة الإسلاميّة.

من الشخصيّات المعروفة المشاركة في تحرير مقالات الكتاب: المطران بشاره الراعي، الأب موريس بورمانس، البروفسور رجيه أرنالديز، الأب كلود جيليو، الجنرال موريس فيفر، الأديب والصحافيّ المعروف جان-بيار بيروتسيل هوغوز، الأب أنطوان موصللي، وغيرهم.

بعض الأمور التي تلفت النظر لدى قراءة هذا الكتاب:

- في المجال الثقافيّ اللاهوتيّ والروحانيّ، أراد مجمل الباحثين أن يكتبوا بنوع من الصراحة، التي لا تتعدّى حيّز الاحترام، عن العناصر الأساسيّة الخاصّة بكلّ دين. وقد جاء عرض مقوّمات الدين الإسلاميّ (راجع مثلًا مقال الأب جان سليمان) ليؤكّد هذا

التوجّه. ومقالة الأب أنطوان مرصللي، وحتّى ما كتبه البروفسور أرنالديز، يصبُّ في خانة توضيح الفرق بين جوهر الدين الإسلاميّ والدين المسيحيّ. وما يقوله المطران بشاره الراعي في تصدير الكتاب يختصر الناحية الأولى هذه: «أمّا في ما يخصّ الطريقة لمقاربة الإسلام، فإنّ الطريقة الوحيدة الأساسيّة هي أن يحيا المسيحيّ مسيحيّته. هذا يقتضي العيش في اتّفاق تامّ مع معطيات الإنجيل من دون خجل أو مواربة. (. . .) أمّا الاختلافات اللاهوتيّة بين الديانتين، فهي متعارضة بالمطلق». (ص ٩-١٠).

- عنوان الكتاب: العيش مع الإسلام؟ هو سؤال تطرحه كنائس الحضارة الغربيّة على نفسها. والقسم الثاني من الكتاب يحاول تزويد المسيحيّ الفرنسيّ الغربيّ الكثير من عناصر التفكير ومقوّماته ليستطيع، لا الإجابة عن السؤال بوجه مباشر وأوّليّ، بل محاولة التفكير في الموضوع. والواقع، بحسب توجّه الكتاب، أنّ المسيحيّة والإسلام هما في حوار يوميّ، لكن، في ما يتعلّق بالكنيسة، هل هذا الحوار هو لمعرفة الآخر في دينه، ولاحترام دينه؟ هل هو حوار بين ديانتين في إطار حوار الديانات ومقاربتها، أم إنّ الحوار هو طريق إلى الخلاص، هو الإطار الذي يشهد فيه المسيحيّ لمسيحيّته كطريق إلى الخلاص؟ الحقيقة أنّ في هذا الكتاب تضاربًا في الجواب عن هذا السؤال أو التساؤل، إذ إنّ علم اللاهوت لم يخرج بعد من مُعضلة النظر إلى الأديان الأخرى، هل هي مجرّد تجلّيات لكلمة الحقّ، عليها أن تذوب في التجلّي الأسمى للكلمة، أم إنّ الأديان، ومنها الإسلام، هي طريقة شموليّة لها ذاتيّتها ومنهجها؟
- ويبقى أنّ واقع الغرب، من ناحية السعي إلى الحقيقة والإعلان عنها بدون مواربة، هو واقع واهن ومتعب، في حين أنّ الحوار يدعو إلى التفكير المشترك الواضح، وإلى إعلان قواعد العيش المشترك.
- كتاب آني لوران فيه الجديد، إذ إنّه يحاول أن يضع الحوار خارج إطار القاعات المقفلة وخارج المقالات المتخصّصة وكذلك خارج التعصّب وآثاره، للتشديد على أنّ العيش مع الإسلام ليس تعايشًا وحسب، بل هو شهادة يوميّة لروح الخلاص.

أ. ص. د.

أوهام النخبة أو نقد المثقّف

تأليف عليّ حرب

منشورات المركز الثقافي العربيّ، ١٩٩٦، بيروت، ١٣٦ صفحة

يثير المؤلّف في هذا الكتاب الذي راج رواجًا ملحوظًا في العام ١٩٩٦، قضايا حسّاسة تتعلّق بموقف المثقّف من الفكر بحدّ ذاته، «إذ إنّ مشكلة المثقّف لا تكمن في عدم الأخذ بآرائه، أو في سوء تطبيق مقولاته، ولا هي تأتي من الحصار المضروب عليه من قِبَل الأنظمة والسلطات. إنّها تأتي بالدرجة الأولى من عجزه عن الابتكار في مجال الفكر بالذات» (ص ١٣٠). وممّا يدلّ بوجه واضح على أنّ المثقّف هو في أزمة، ما نتحقّق منه أنّ المبصّر والمنجّم والساحر، وكذلك اللاعب أو المغنّي، لهم مكانة تعلو بألف مرّة مكانة المثقّف.

لِمَ هذه الأزمة، أزمة المثقّف في التفكير وفي قراءة الواقع قراءةً موضوعيّة مجرّدة؟ الدكتور عليّ حرب يعدّد العوائق الأساسيّة التي تعطّل دور المثقّف في سعيه لتغيير الواقع والمساهمة في صنع الحدث، فما هي هذه العوائق؟

الواقع أنّها ليست عوائق وحسب، بل إنّها تصوّرات يعيش فيها المثقّف ويشتقّ خطابه وكتاباته منها. فالمثقّف يتصوّر أنّه في مصافّ النخبة، فيعزل ذاته عن الآخرين باسم دفاعه عن الحريّة والثورة. وهو يتصوّر أنّه وصيّ على الحريّة في حين أنّ الديموقراطيّة تنحسر وتتراجع. وهو يرفع لواء الانتماء والهويّة، في حين أنّ الأمور تختلط وتتعقّد. أمّا تصوّر المطابقة بين الفكر والواقع، فهو مجرّد أمنية لا أكثر. وينصّب المثقّف نفسه مدافعًا عن الحداثة كأنّها صنم، في حين أنّ القضيّة هي قضيّة العقل في التعاطي مع العناصر كافّة التي تؤلّف حياة الشعوب اليوم.

لا شكّ في أنّ عليّ حرب نجح إلى حدّ بعيد في تسليط الضوء على أزمة المثقّف. والواقع أنّ هذه الأزمة، في وضعنا اللبنانيّ العربيّ، هي أزمة الثقافة بحدّ عينها التي لم تعد تستطيع أن تجاري العصر كما يجب وأن تقوّي الإنسان المواطن، إذ إنّ هذه الثقافة لم تزل ثقافة طائفيّة، متحجّرة، إيديولوجيّة، نرجسيّة وفوقيّة، تتداخل فيها ثقافة عالَم الاستهلاك ومجتمع الاستيراد. إنّه المثقّف الذي يعيش أوهامه وأفكاره وتصوّراته في غياب القضايا الكبرى وغياب العقلانيّة وغياب الحريّة. فإذا أراد المثقّف أن ينقذ خطابه، فلا مجال له إلّا أن يسأل ذاته كيف يتعامل مع العناصر الأساسيّة هذه في كلّ نهضة.

أ. سليم دكّاش

في الملكيّة الفكريّة. حقوق المؤلّف

تأليف الدكتور جورج جبّور

دار الفكر، دمشق - دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٧، ٣١٢ صفحة

يعترف الدكتور جبّور في بداية كتابه الجديد هذا أنّه لم يسعَ من خلاله إلى تقديم دراسة منهجيّة مكتملة الجوانب تنطلق من الأصول التاريخيّة وتدرس المظاهر والوقائع في تطوّرها ونتائجها. إلاّ أنّه لم يخفِ رغبته في القيام بمثل هذا العمل متى تسنح الفرصة، وقد اكتفى اليوم بأن وضع في متناول الباحثين والمثقّفين المهتمّين بالموضوع، مجموعة من النصوص والوثائق التي تنير السبيل.

أساس الكتاب محاضرات أربع ألقاها المؤلّف في عدّة مناسبات: أولاها في العام ١٩٧٤ وآخرها في نهاية العام ١٩٨٩، ممّا يُشير إلى مواظبة الدكتور جبّور على متابعة أبحاثه في هذا الميدان بدون كلل على مرّ الأيّام. وقد مهّد للمحاضرات تلك بمقدّمة مبتكرة طريفة بيّن فيها دور العرب الرائد في الدفاع عن حقوق المؤلّفين والمبدعين، مستندًا إلى دراسة قام بها المرحوم الأستاذ عبدالله لحّود الذي أصرّ الدكتور جبّور على الاعتراف له بفضل كبير في هذا المجال.

وبالإضافة إلى نصوص المحاضرات، نشر المصنّف عددًا من الوثائق الجليلة الفائدة، منها إسهامات له في وضع برنامج دراسات على المستوى الجامعيّ في مجال حقوق المؤلّف والحقوق المشابهة، وملاحظات أبداها حول وثيقة أعدّتها اليونسكو في هذا الباب. كما أنّه أورد نصوص عدد من الاتّفاقيّات العربيّة الآيلة إلى حماية حقوق التأليف ومنها قانون تونس النموذجيّ، والنصوص التي تنظّم حقوق المؤلّف في التشريع السوريّ، إلى نصّ الاتّفاقيّة العالميّة لحقوق المؤلّف المعدّلة في باريس بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٧١. وفي ختام الكتاب جاءت كلمة للناشر الأستاذ محمّد عدنان سالم، أورد فيها خبرته في مجال حقوق التأليف ممّا أيّد النظريّات بالوقائع الملموسة.

لا شكّ في أنّ هذه المجموعة من الوثائق المهمّة التي أبرزها مصنّف الدكتور جبّور، سوف تتيح للباحثين خوض مجال حقوق التأليف بمؤونة وافرة وعدّة شافية، بانتظار أن يتحفنا حضرة المؤلّف بما نرجوه من دراسة منهجيّة تدعم بحثه الأوّل هذا القيّم الثمين.

أ.ك. حشيمه

دراسات في المكتبة العربيّة التراثيّة

تأليف الدكتور عادل الفريجات

دار النمير، دمشق، ١٩٩٧، ٢٤٧ صفحة

أن يخوض الدكتور عادل الفريجات في مجال المكتبة العربيّة التراثيّة ليس بالأمر العسير عليه، فله من طول باعه في الأدب العربيّ، حديثه وقديمه خاصّةً، ومن وفرة تآليفه في موضوعاته، وتنوّع دراساته النقديّة، ما يخوّله أن يتحفنا بدراسة واقية شائقة كالتي نحن الآن بصددها.

فالكتاب أشبه بمعجم مفصّل يوفّر للباحثين والمختصّين، كما لعامّة القرّاء المُعْجلين، معلومات كثيرة تساعدهم على التعرّف إلى عدد كبير من أمّهات المصادر العربيّة. والمصنّف قُسّم، لهذه الغاية، إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل، وعنوانه «جوانب من عالم المكتبة العربيّة» يتناول في بدايته المؤلّفات النوعيّة والموسوعيّة في التراث العربيّ منذ أقدم عصوره حتّى أيّامنا، ويأخذ منك العجب لدى معرفتك أنّ المقريزيّ، البعلبكيّ المنشأ، صنّف نحو مائتي مؤلّف، وأنّ الإمام أبا الوفاء عليّ بن عقيل الحنبليّ البغداديّ، من علماء القرن السادس الهجريّ، جعل كتابه الفنون في ثمانمائة مجلّدة! وأصحاب الموسوعات العرب كثيرون يعدّون بالعشرات، لا في العصور الغابرة وحسب، بل في أيّامنا أيضًا كما تشهد على ذلك مصنّفات بطرس وفؤاد البستانيّ، وكوركيس عوّاد، ولويس شيخو، وإحسان عبّاس، وعبد السلام هارون، وصلاح الدين المنجّد، وخير الدين الأسديّ وسواهم.

وفي فصل ثانٍ من الباب الأوّل يعرض الدكتور الفريجات للكتب المفقودة أو المنشورة ناقصة، وقد ذكر عناوين ثلاثة وخمسين منها، ثمّ أشار إلى مَن زاد عليها الاستدراكات.

وموضوع الفصل الثالث هو كتب المتابعة والتتبّع، أي المصنّفات التي تقوم على كتاب أو تدور حوله أو على شيء منه «شرحًا أو تلخيصًا أو مقارنةً أو استنباطًا أو استيفاءً أو تنقيحًا أو تصحيحًا». وهذا النوع غير قليل أحصى منه المؤلّف سبعةً وثلاثين كتابًا.

أمّا الفصل الرابع فقد عُني بالمصنّفات التي استعملَت الشعر لعرض العلوم لاجئةً إلى هذا الأسلوب الجميل الرشيق لتسهيل الحفظ وضبطه وصونه من الزلل.

وفي ما يتعلّق بالبابين الثاني والثالث، فقد تناولا عددًا من المصادر والمراجع الأساسيّة راجعها المؤلّف بين فينة وأخرى، فعالج في الباب الثاني ثلاثة عشر مصدرًا تراثيًا كمثل أمثال العرب للمفضّل الضبّيّ، أو طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم الجمحيّ، أو معجم الأدباء لياقوت. ودرس في الباب الثالث تسعة مراجع متّصلة بالتراث، منها أقدم المخطوطات العربيّة في العالم لكوركيس عوّاد، وتاريخ التراث العربيّ لفؤاد سزكين، وحلب في كتب البلدانيّين العرب من إعداد شوقي شعث وفالح بكور. وهذه الدراسة الأخيرة (ص ٢٣٣-٢٤٦) نُشِرت أوّلًا في مجلّة المشرق (كانون الثاني ١٩٩٧، ص ٢٢٩-٢٣٨)، أسابيعَ قليلة قبل صدورها في الكتاب.

قيمة كتاب دراسات في المكتبة العربيّة التراثيّة تأتي من كونه مرجعًا متعدّد المرضوعات وفيرها، ثريّة المتناول. كما أنّ المؤلّف بارع في سوق مادّته العلميّة الجافّة بأسلوب رشيق سلس ينمّ على ملكة أدبيّة رفيعة.

أ.ك. حشيمه

العلاقات الثقافيّة الأرمنيّة السريانيّة

تأليف الدكتور ليون دير بدروسيان

نقله إلى العربيّة الدكتور بوغوص سراجيان

«دراسات سريانيّة»، رقم ١، دار ماردين، حلب، ١٩٩٧، ٢٥٣ صفحة

ينبغي تنبيه القارئ بادئ بدء إلى أنّ العنوان المذكور هنا وعلى غلاف الكتاب لا يمتّ بصلة إلى مضمون السِفر إلاّ من بعيد. فالموضوع الأساسيّ هو دراسة في تحقيق نصّ مخطوط بعنوان شهداء المشرق لمؤلّفه المؤرّخ السريانيّ ماروثا الميّافارقينيّ (توفّي ٤٣١)، نقله إلى الأرمنيّة القدّيس أبراهام وحقّقه الدكتور ليون دير بدروسيان رئيس جمهوريّة أرمينيا الحاليّ. وقد نُقل هذه الدراسة إلى العربيّة الدكتور بوغوص سراجيان. أمّا العلاقات الثقافيّة الأرمنيّة السريانيّة التي كنّا نحبّ أن نحيط ببعض جوانبها، فهي مذكورة بسرعة في المدخل الذي حرّره سيادة المطران يوحنّا إبراهيم راعي أبرشيّة حلب السريانيّة الأرثوذكسيّة، وفي خاتمة صاحب التحقيق (ص ٢٢٨-٢٣٠).

ليس الكتاب إذًا دراسة تاريخيّة بقدر ما هو بحث علميّ نقليّ، متبحّر دقيق، في تاريخ مخطوط وترجمته، وهذا ما يهمّ العلماء والمتخصّصين في الدرجة الأولى، علمًا أنّ المثقّف العاديّ الثقافة لن يخرج من قراءته بدون فائدة. وممّا يلفت الانتباه ولا يخلو من

التشويق أنّ صاحب هذا العمل العلميّ هو رئيس جمهوريّة بلد عريق، عُرف في الأوساط الأكاديميّة قبل أن يخوض ميدان السياسة من بابه الواسع، كما أنّه وُلد في حلب وبتفن العربيّة. وقد وُفّق ناقل كتابه إلى لغتنا، الدكتور سراجيان، في رسم صورته الإنسانيّة والعلميّة والوطنيّة على أحسن وجه (راجع الصفحات التسع التي تسبق الدراسة، وهي غير مرقّمة).

ملاحظة في شأن ثبت المراجع باللغات الأجنبيّة، وهو يغطّي نحو ثماني صفحات (٢٣٩-٢٤٧): فلقد تسرّب إليه الكثير من الأغلاط الإملائيّة التي كان هذا الكتاب العلميّ المتقن يغنى عنها: ص ٢٤٠، سطر ١٨: Literature (والصحيح Littérature)؛ ص ٢٤١، سطر ٢: manuscripts (والصحيح manuscrits)؛ وفي الصفحة ٢٤١ نفسها عدّة أغلاط أخرى: Sozomene، Bibliotheque، ecclesiastique، chretienne إلخ؛ ص ٢٤٢ سطر ١٢: l'emptre (والصحيح l'empire)، dinastie (والصحيح dynastie)؛ ص ٢٤٤ السطر الأخير persians (والصحيح persans)؛ وهذا برض من عدّ في المراجع الفرنسيّة. وهناك عدد من الأغلاط في العناوين الألمانيّة: ص ٢٤٤، سطر ١٢: Obersetzung (والصحيح Übersetzung)؛ سطر ١٣: hetligen (= heiligen)؛ ص ٢٤٥، سطر ١٣: chriten (= Christen)؛ ص ٢٤٦ سطر ٦: Krichengeeschichte (والصحيح Kirchengeschichte)؛ ص ٢٤٧، السطر ٨: Mogenlandes (= Morgenlandes). وفي المراجع اللاتينيّة، ص ٢٤٦ سطر ١، كُتب Eccleslae، والصحيح Ecclesiae. وجميع هذه الأغلاط الطباعيّة سهلٌ تصويبها، وهي على كلّ حال لن تحجب ما تتميّز به طبعة كتاب دير بدروسيان من حسنات جلّى. ولا بدّ في هذا السياق من شكر المشرفين على دار ماردين الحليّة لما يبذلونه لإتحافنا بكتب رفيعة المستوى تبرز تاريخ منطقتنا المشرقيّة وخاصّة التراث السريانيّ العريق.

أ. كميل حشيمه

النسّاخ الموارنة ومنسوخاتهم

تأليف الخوري ناصر الجميّل

جزءان، بيروت، ١٩٩٧، ٩٠٠ صفحة

يقول الكردينال نصرالله بطرس صفير في تصديره لهذا الكتاب إنّ الموضوع لم يُجزْه أحد قبل الخوري ناصر الجميّل ما أعاره من اهتمام، وهذا صحيح. فقد تحوّل عمل الخوري ناصر الإحصائيّ التصنيفيّ إلى نوع من التأريخ الأدبيّ الروحيّ اللاهوتيّ الماروني، عندما عرض لـ ١٦٧٢ منسوخًا من أنواع مختلفة بالعنوان، واسم الناسخ، وصفته، وبلدته، ونوع المنسوخ، وتاريخ نسخه. ولا شكّ، أنّ الفهارس المتنوّعة في الجزء الثاني سوف تساعد على كتابة أكثر من مقالٍ في تاريخ الحياة الأدبيّة والعلميّة اللبنانيّة عبر القرون الأخيرة. ولا شكّ أيضًا في أنّ هذا الكتاب جاء نتيجة عملٍ شاقّ وجهد صبور طويل الأمد للوصول إلى

تجميع ما تمّ جمعه وحصره وإخراجه.

ويلفت النظر في الكتاب نسبة البياض الواسع في الصفحة الواحدة نظرًا إلى التبويب المعتمد. إلاّ أنّ هذه الملاحظة تبدو هامشيّة مقارنة بملاحظة أخرى يجدر إيرازها: فعندما تمّت مراجعة المخطوط الحامل الرقم ١٥٧ (دير البنات للرهبانيّة اللبنانيّة) لاحظتُ أنّ ثلاثة منسوخات منه تمّ إدراجها في الكتاب، في حين أنّ أربعة منسوخات أخرى لم تُذكر وهي للناسخ نفسه. وربّما يعود ذلك إلى صعوبة التدقيق في عمل الطلاّب المساعدين على إنجاز هذا المشروع. ولا شكّ في أنّ من بين المئات من المخطوطات غير المصنّفة أو المبوّبة من مخطوطات المكتبة الشرقيّة في بيروت بعض أسماء النسّاخ التي يجب إضافتها إلى طبعة جديدة من الكتاب. ومن الأسئلة المهمّة التي لا بدّ أن يطرحها الباحث في هذا المجال سؤال يتناول ندرة النسّاخ قبل القرن السادس عشر كما يبدو من عمل الخوري ناصر الجميّل التصنيفيّ الإحصائيّ. وربّما أتى الجواب على لسان البطريرك إسطفان الدويهيّ في كتابه تاريخ الأزمنة، ص ٣٦٢ وأيضًا ٣٥٣-٣٥٤، ٣٥٨، ٣٩٥-٣٩٧ من طبعة الآباء بطرس فهد، حيث إنّ التهمة موجّهة إلى النسّاخ اليعاقبة الذين أفسدوا الكتب اليعيّة المارونيّة، ولعلّ ذلك إشارة إلى أنّ مهنة النسخ في ذلك الوقت كانت مزدهرة عند اليعاقبة أكثر منها عند الموارنة. ولا شكّ في أنّ ترجيهات المجامع المارونيّة بشأن مهنة النسخ، كما أشار إليها الخوري الجميّل، كانت تحاول استدراك هذا الأمر لتبقى كتب الكنيسة بمنأى عن كلّ تشويه.

إنّ كتاب النسّاخ الموارنة ومنسوخاتهم هو نموذج للأعمال التي يجب الشروع فيها لمعالجة التراث معالجة رصينة تنفض عنه غبار الماضي فتبرزه على أكمل وجه.

أ. سليم دكّاش

أصول المارونيّة السياسيّة وجذور الحرّيّات اللبنانيّة

تأليف الشيخ أسعد جرمانوس

دار المراد، بيروت، ١٩٩٦، ١٧٨ صفحة.

يندرج هذا البحث في إطار الكتب الدفاعيّة عن دور الموارنة في التاريخ اللبنانيّ، وعن وجودهم في لبنان وارتباطهم المميّز به عبر العصور. وإلى جانب الطابع الدفاعيّ، يحاول الكتاب تصحيح ما يراد به عندما يتناول الحديث المارونيّة السياسيّة، فتصبح هذه المارونيّة مشروعًا مميّزًا في إثبات الحرّيّة والديموقراطيّة والتآخي، أساسًا للحياة السياسيّة اللبنانيّة. ويشدّد المؤلّف على أنّ المارونيّة السياسيّة هي قضيّة شعب أراد أن يحيا حرًّا مستقلاً عن طريق إعلاء شأن الثالوث التالي: حرّيّة الأرض وحرّيّة الفرد وحرّيّة العلم والثقافة. وهذه القضيّة ليست قضيّة مجموعة قوميّة أو دينيّة معيّنة، بل هي قضيّة كلّ المجموعات التي تحيا على الأرض اللبنانيّة. ويُفهم بالتالي أنّ ما تسعى إليه المارونيّة السياسيّة ليس الهيمنة أو التسلّط على الآخرين، بل أنموذج عمل وتحرّك من أجل ازدهار الحرّيّات المشار إليها.

وقد اختبر الشعب الماروني اختبارًا واقعيًا ممارسة الحرّيّة عبر الكثير من الأطر كطرح الصوت والعونة والمشورة...

ولا بدّ للمارونيّة السياسيّة، حتّى تبني المستقبل، أن تأخذ بعين الاعتبار النواقص والشوائب التي علقت بأرباب السياسة الموارنة وهم «يتمون عقيدةً إلى آخر مقدَّمي بشرّي في الجيل السادس عشر الذين خرجوا عن أصول المارونيّة السياسيّة طمعًا بمنافع آنيّة» (ص ١٦١)، وهذا المقدَّم استعان بالغرب على أهل الدار وبالأفكار الغريبة لذلك. وإلى جانب التخلّف العالق بالطبقة السياسيّة، يبرز الخوف، وموضوع الخلل في العدد، والانتماء القوميّ العربيّ، عوائق في وجه ديمومة الحضارة اللبنانيّة المرتبطة أساسًا بالمارونيّة كحضارة تذود عن الحقّ الإنسانيّ قبل أيّ أمر آخر.

كتاب الشيخ أسعد جرمانوس هو دعوة إلى التجدُّد في العودة إلى خبرة التاريخ، خبرة الماضي، فهل تنفع هذه الدعوة؟ وهل يسمعها السياسيّون الغارقون في سياسات لا سياسة لها؟

أ. س. د.

البطريرك جبرائيل البلوزانيّ (١٦٣٠-١٧٠٥)

تأليف الأب شربل أبي خليل الأنطونيّ

المطبعة العربيّة، بيروت، ١٩٩٦، ٣٤٨ صفحة

الكتاب في قسمين: سيرة البلوزانيّ يتصدَّرها رسم بريشة المؤلِّف و٢٢ صورة شمسيّة (ص ١-٢٢٠) ويليها عدد من الملاحق (ص ٢٢١-٣٤٨) أهمّها ثبت فوتوغرافيّ بالوثائق الكرتونيّة والعربيّة والغربيّة التي تستند إليها الدراسة، وعددها ٤٠.

مختصر سيرة البلوزانيّ: ولد «رزق» في بلوزا ١٦٣٠، أبوه شدياق وجدّه أسقف. ترهّب ١٦٤٤ في دير مار أنطونيوس قزحيّا فتسمّى «جبرائيل». سُيِّم كاهنًا حوالى ١٦٥٠ بعد أن تضلّع من اللغتين العربيّة والسريانيّة ومن العلوم الكنسيّة الأساسيّة المعتادة في تلك الحقبة. رغب في العالم فانكبّ على نسخ بعض الكتب وسهر على نسخ غيرها على يد مَن أتقن هذا الفنّ (ص ٦٣-٧٠). وسنة ١٦٦٣ رقّاه البطريرك جرجس السبعلي إلى درجة الأسقفيّة وجعله أوّل أسقف أصيل على أبرشيّة حلب، وكان البطاركة يتنبون قبل ذلك نوّابًا لهم لإدارة هذه الأبرشيّة الواسعة الأرجاء والبعيدة عن الكرسيّ البطريركيّ سفر عدّة أيّام. إهتمّ البلوزانيّ بتنظيم الحياة الرعويّة والروحيّة في المدينة والرعايا التابعة لها. ومن نشاطاته: بناء كنيسة مار الياس الكاندرائيّة، الاهتمام بنسخ المخطوطات لا سيّما الطقسيّة منها، تأسيس مدرسة لأولاد العوارنة. وإلى جانب ذلك اهتمّ الأسقف ببناء الأديار وأهمّها دير طاميش، كرسيّ أبرشيّته (ص ٧١) وتجديد بناء دير مار أشعيا الراهب قرب برمّانا حيث أسّس الرهبانيّة الأنطونيّة (ص ٨٠-٨٥ و٩٨-١٠٩). وبعد وفاة البطريرك الدويهي أجمع مَن حقّ له عضويّة المجمع الانتخابيّ على إقامته بطريركًا خلفًا له، في ١٢ أيّار ١٧٠٤. ثبّت البابا أقليموس

هذا الانتخاب في ١٠ حزيران ١٧٠٥ وتسلّم البلوزانيّ درع الرئاسة (الباليوم) في ١١ تشرين أوّل ١٧٠٥ أي عشرين يومًا قبل وفاته (في الثلاثين من الشهر نفسه).

هذا مضمون الكتاب. نرتاح إلى قراءته في سرد واضح يرتكز، مرحلةً مرحلة، على وثائق تاريخيّة أكيدة، يزيدنا فيها اطمئنانًا اللجوء إلى صورها الفوتوغرافيّة مع ذكر المرجع في خزائن المحفوظات. وكم نحن بحاجة إلى هذا النمط من التأليف التاريخيّ، فالوثيقة الأصليّة الأكيدة أكثر بلاغةً من العاطفة وجميل الديباجة، فنرتاح إلى حقيقة تاريخنا في مراحله الرضيعة. ذلك أنّ بعض الجمل أو الكلمات البسيطة العفويّة تنقل إلينا ببلاغة الحقيقة الجوّ الاجتماعيّ والصعوبات اليوميّة وقلق النفس وقوّة الإرادة وبطوليّة الصمود والعمل اليوميّ الدؤوب، فتصبح شهادةً بليغة للصمود والتشبّث بالأرض وبناء الكنيسة والوطن. لذلك نحن بحاجة إلى مَن يُبرز إلى حيّز النور كتابات البطاركة من موسى العكّاريّ وميخائيل الرزّيّ إلى الدويهي والبلوزانيّ وغيرهم من المسؤولين الروحيّين والزمنيّين الذين بنوا الوطن وأوصلوه إلى ما هو عليه الآن.

الأب سامي خوري اليسوعيّ

Une Histoire du Liban à travers
les archives des Jésuites 1863-1873
par le Père Sami Khuri, s.j., Dar el-Machreq, Beyrouth, 1996, 484 pages

يقوم الأب سامي خوري اليسوعيّ بإسداء خدمة كبيرة لكتبة تاريخ لبنان، من خلال نشر وثائق أرشيف الآباء اليسوعيّين في لبنان تحت عنوان تاريخ لبنان من خلال أرشيف الآباء اليسوعيّين *Une Histoire du Liban à travers les archives des Jésuites*

وقد صدرت هذه المجموعة عن دار المشرق وهي تضمّ حتّى الآن ثلاثة أجزاء: الأوّل صدر العام ١٩٨٥ وهو يغطّي الفترة التاريخيّة الممتدّة بين ١٨١٦ و١٨٤٥، والثاني صدر العام ١٩٩١ وهو يغطّي الفترة الممتدّة بين ١٨٤٦ و١٨٦٢، والثالث ظهر حديثًا وهو يشمل الفترة الممتدّة بين ١٨٦٣ و١٨٧٣. ومن المعروف أنّ الحقبة التي يشملها الجزء الثالث هذا هي مرحلة إعادة إعمار لبنان بعد الأحداث والحروب الطائفيّة التي شهدها الجبل بصورة متقطّعة بين ١٨٤٠ و١٨٦٠، وذلك في أثناء مؤسّسة المتصرفيّة التي أُنشئت نتيجة مؤتمر بيروت الدوليّ وبالّتفاق الدول الكبرى في حينه وضمانتها.

وبيّن من الوثائق المنشورة في هذا المجلّد أنّ هذه المرحلة بالذات هي منطلق التكوين السياسيّ والثقافيّ والسوسيولوجيّ والاقتصاديّ في لبنان الحديث، حيث بدأت تؤسّس وتتعزّز المؤسّسات التربويّة والجامعيّة، فتكوّنت طبقة جديدة من المثقّفين والسياسيّين والمتموّلين الذين قاموا بإلقاء أضواء جديدة على المجتمع اللبنانيّ.

إنّ الوثائق التي نشرها الأب سامي خوري بكلّ دقّة وأمانة تشهد لهذا التغيير، وهي تُثبت أنّ تاريخ لبنان الحقيقيّ هو تاريخه الإنسانيّ المتمثّل بالمظاهر الثقافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وهو في مستوى التاريخ السياسيّ نفسه الذي يبدو تاريخ أشخاص أكثر ممّا

هو تاريخ مؤسّسات سياسيّة. لذلك فإنّ نشر الوثائق المدفونة يساعد على إبراز معالم متعدّدة وجديدة من حياة لبنان اليوميّة التي نكاد لا نعرفها سوى بالتواتر من دون الاستناد إلى مراجع موثوق بها. فأرشيف الآباء اليسوعيّين خير شاهد على معاناة الإنسان اللبنانيّ في هذه الحقبة في حياته العامّة والخاصّة، لجهة الأمراض التي كانت تنتشر بين الحين والآخر، وأبرزها مرض الكوليرا الفتّاك في معظم الأحيان، وقد عانت بيروت وصيدا وبعض المدن اللبنانيّة عدّة مرّات المآسي الناجمة عنه. وهنالك هموم الإرشاد وتشجيع المواطنين على الانضباط وممارسة الواجبات الدينيّة بطرق تتناسب مع مفاهيم الدين الحقيقيّة، إضافة إلى ذكر الأصول العائدة إلى زيارات متصرّفي الجبل ورجال الحكومة واستقبالاتهم الدوريّة، والمعاناة في التعاطي بين الحكّام المحلّيّين والأعالي. ولا ننسى الانفتاح الشامل على لبنان من قبل المجتمعات المحيطة به نتيجة إنشاء المراكز التعليميّة والاجتماعيّة في مدن وقرى متعدّدة فيه، قبل اتّخاذ القرار بتملّك العقارات اللازمة لإنشاء جامعة القدّيس يوسف في بيروت، التي قامت بدور بارز ولا تزال تقوم به نشرًا للعلم والثقافة في المجتمع العربيّ والشرق أوسطيّ حتّى اليوم.

فضلًا عن هذه الأمور تُبرز الوثائق المنشورة المنهجيّة العلميّة الصارمة في إنشاء مؤسّسات يتعزّز دورها من خلال أصالة تصرّفها. فالأشخاص كانوا دائمًا في خدمة المؤسّسات التي تُعنى بهموم الإنسان. لذلك وبالإضافة إلى الهموم اليوميّة العامّة والخاصّة التي تبرز من خلال الوثائق المنشورة، هنالك أيضًا الدور الإعلاميّ التي كانت الرهبانيّة اليسوعيّة رائدة فيه بلبنان ومحيطه، من خلال إصدار جريدة البشير العام ١٨٧١ والتي كوّنت مرجعًا بارزًا لتاريخ هذه الحقبة من الزمن، إضافة إلى تعزيز المطبعة الكاثوليكيّة وتعميم نشاطها تدريجيًّا على كلّ شرائح المجتمع في حينه.

إنّ غزارة الوثائق المنشورة وأهمّيّتها التاريخيّة والسوسيولوجيّة تفرض مراجعة تفصيليّة لها، خاصّة وأنّها تحمل في طيّاتها صفحات لا تُنسى، منها مثلًا تصرّف الآباء اليسوعيّين الدقيق عند تملّكهم العقارات العائدة لجامعة القدّيس يوسف، أو طريقة استقبال المتصرّفين أو الحكّام، أو معالجة إشكاليّات يوميّة بين المواطنين والإكليروس المحلّيّ إلخ... ولكنّ هذه الوثائق تثبت أنّ تاريخ لبنان لم يكتب بعد كما يجب، ما دام أنّ وثائق بهذه الأهمّيّة لم تبصر النور بحلّة علميّة دقيقة، بحيث لا يُترك أمرٌ في الخفاء من دون التنوير على مضمونه الحقيقيّ.

إنّ ميزة الأب سامي خوري تعود إلى إثبات هذه المنهجيّة العلميّة الدقيقة المتمثّلة بتكريس القسم الأكبر من حياته لجمع هذه الوثائق ودراستها وفرزها بكلّ أمانة وصدق، وإصدارها مع التعليقات والحواشي اللازمة. وهذه المفاهيم التي بجسّدها من خلال إصداره الأجزاء الثلاثة لتاريخ لبنان استنادًا إلى أرشيف الرهبانيّة اليسوعيّة، تؤلّف مدرسة لمَن يرغب في ولوج هذه الطريقة العلميّة الدقيقة. ومن فضائل الأب خوري أنّه يقوم أيضًا منذ فترة بإصدار الوثائق والمستندات الموجودة لدى الرهبانيّة اليسوعيّة في روما، العائدة للقرنين السادس عشر والسابع عشر، وقد أصدر حتّى الآن تحت عنوان *Monumenta*

Proximi - Orientis الجزء الأوّل العائد للفترة الممتدّة من ١٥٢٣ إلى ١٥٨٣ الذي سبق وتكلّمنا عليه في عدد سابق من مجلّة المشرق (١٩٩١، ص ٤٨٩-٤٩٢) والجزء الثاني العائدة للفترة الممتدّة من ١٥٨٣ إلى ١٦٢٣، وقد صدر العام ١٩٩٤، وهذا الجزء بالذات لنا عودة مفصّلة إليه في عدد لاحق من المشرق. وهو يبيّن وفقًا لوثائق دقيقة تنشر لأوّل مرّة، حقيقة الأوضاع الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة السائدة في جبل لبنان في القرنين السادس عشر والسابع عشر من دون تضخيم الأمور أو تعتيم المرويّات، ممّا يفتح المجال واسعًا لمراجعة عامّة مفصّلة ومنهجيّة لتاريخ لبنان إبّان هذه الحقبة.

وفي مطلق الأحوال لا شكّ في أنّ السلسلتين اللتين يقوم الأب سامي خوري بإصدارهما بحكمة ودراية، تكوّنان المرجع الأوّل لمَن يرغب يومًا ما في كتابة تاريخ لبنان، حيث إنّ الوثائق المنشورة كفيلة بإبراز ما تمكّن الإنسان اللبنانيّ من القيام به إبّان مراحل محدّدة من القرون الماضية، بحيث لا تنحصر كتابة تاريخ لبنان بتاريخ الأشخاص والحروب، بل يتعدّى هذا الأمر إلى قراءة هادئة لحقيقة تاريخ لبنان الإنسانيّ والسوسيولوجيّ والثقافيّ والاقتصاديّ، وهو تاريخ لبنان الحقيقيّ الصامت الذي يعمل الأب سامي خوري على إظهاره خدمة للمستقبل.

هيام ملاّط

الملكيُّون - العقيدة والموقف المسكونيّ

تأليف الأرشمندريت إغناطيوس ديك

حلب، ١٩٩٧، ٣٢ صفحة

يحدّد المؤلّف لفظ «الملكيّين»، فيقول إنّه يدلّ على مؤمني بطريركيّات الإسكندريّة وأنطاكية وأورشليم الرسوليّة، الذين تغذّوا من تقليد الآباء اليونان والسريان وقبلوا قرارات المجمع الخلقيدونيّ، علاوة على المجامع المسكونيّة الستّة الأولى، وحافظوا على شركتهم مع رومة والقسطنطينيّة، في وحدة إيمان الكنيسة التقليديّ.

أمّا موضوع البحث في هذا الكتيّب، فهو موقفهم المسكونيّ، سواء أكانوا ينتمون إلى البطريركيّة الأنطاكيّة بوجه عامّ، أو إلى بطريركيّة الروم الملكيّين الكاثوليك، أو إلى بطريركيّة الروم الأرثوذكس.

١) موقف البطريركيّة الأنطاكيّة التقليديّ: لم يُعثَر على أيّ قرار جرم صدر قبل ١٧٢٤، لا قرار متبادل بين رومة وأنطاكية، ولا قرار من جانب واحد، وليس لدينا أيّة وثيقة صادرة عن بطريرك أنطاكيّ يرفض فيها الشركة مع رومة.

٢) موقف بطريركيّة الروم الملكيّين الكاثوليك: هذه الكنيسة تعتبر نفسها في اتّصال تامّ بالتقليد الأنطاكيّ السابق. فحين عاد الفرع الكاثوليكيّ في الكنيسة الملكيّة فدخل الشركة الرومانيّة، لم يقطع رباطه بالتقليد الشرقيّ الأصيل، إذ إنّ الملكيّين الكاثوليك كانوا مصمّمين على الحفاظ على استقلالهم البطريركيّ القانونيّ وعلى تراثهم الليتورجيّ. وكانت

رومة موافقة تمامًا على هذا الحفاظ. لكنّ الظروف وتزايد العقليّة المركزيّة في رومة وتدخّل المرسلين اللاتين والقضاد الرسوليّين خلّفت بعض الصعوبات، على الرغم من أنّ البابوات شدّدوا أكثر من مرّة على كرامة الكنائس الشرقيّة وضرورة الحفاظ على تراثها. ومع ذلك فإنّ مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة التي أصدرها البابا يوحنّا بولس الثاني في ١٨/ ١٠/ ١٩٩٠ لم تكن على مستوى الآمال التي أنيطت بها.

٣) موقف بطريركيّة الروم الأرثوذكس: لمّا استعادت هذه البطريركيّة استقلالها عن القسطنطينيّة، تحسّنت العلاقات بين الفرعَين الأرثوذكسيّ والكاثوليكيّ في الكنيسة الملكيّة. وبعد انعقاد المجمع الفاتيكانيّ الثاني، تخلّى الكاثوليك عن أسلوب الاجتذاب وأرادوا بدء الحوار المسكونيّ مع إخوتهم الأرثوذكس، لفتح عهد جديد من التعاون والتفاهم.

رهذا الأمل هو الذي دفع سينودس الروم الكاثوليك، المنعقد في تمّوز ١٩٩٦، إلى إصدار بيان يعرض فيه الوحدة مع الروم الأرثوذكس، مع الإبقاء على الشركة مع رومة، كما كانت عليه في الألف الأوّل. لكنّ سينودس الروم الأرثوذكس رفض هذا العرض بلطف، مفضّلًا الاستمرار في عمل اللجنة المشتركة العالميّة للكنيستين الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة، إذ إنّه يتعذّر الفصل بين المستوى الأنطاكيّ والمستوى العالميّ.

كتاب الأب ديك مختصر مفيد، خطّه قلمُ عالمٍ له طول مراس في الموضوع.

أ.ص.ح.

مدخل إلى المجامع المسكونيّة

تأليف الأبوين ميشال أبرص وأنطوان عرب

سلسلة «تاريخ المجامع المسكونيّة والكبرى»، رقم ١

المطبعة البوليسيّة، جونيه، لبنان، ١٩٩٦، ١٦٨ صفحة

هذا الكتاب هو الأوّل من سلسلة قيد الإعداد تتناول تاريخ المجامع المسكونيّة والمجامع الكبرى. والمبادرة حميدة نظرًا إلى ندرة - إن لم نقل انعدام - مثل هذه المؤلّفات باللغة العربيّة. والكتاب، بحسب ما ورد في عنوانه، هو «مدخل» لمؤلّف تمهيد، وفصول أربعة متفاوتة الطول، وملحق مستفيض يحتوي على لوائح الأباطرة الشرقيّين (البيزنطيّين) والغربيّين، والباباوات، والبطاركة الموزّعين على الكراسيّ البطريركيّة العُظمى الخمسة: روما، القسطنطينيّة، الإسكندريّة، أنطاكيا، أورشليم.

في التمهيد، يعالج المؤلّفان مفهوم «المجمع» معالجةً عامّة ويظهران علاقة المجامع بالكتاب المقدّس، بالإضافة إلى موضوعات أخرى كالعصمة البابويّة والحقّ القانونيّ. وفي الفصل الأوّل، وهو جدّ مقتضب، يصفان أنواع المجامع: الأبرشيّ، والإقليميّ، والأمميّ، والعامّ، والتامّ، والسينودس الدائم، والمجامع المختلطة. أمّا الفصل الثاني، وهو أطول الفصول جميعًا، فيتناول المجامع المسكونيّة دون سواها. وبعد أن يميّز

المصنّفان بين مجامع الألف الأوّل ومجامع الألف الثاني، يبيّنان كلّ ما يمتّ إلى موضوع المجمع المسكونيّ: الدعوة إليه، رئاسته، أعضاءه، سلطته، دور البابا فيه، ثبته، إلخ. وفي الفصل الثالث يدور البحث حول «لاهوت المجامع المسكونيّة» فيتطرّق إلى موضوعات حسّاسة كمثل مسكونيّة المجامع، وتاريخيّتها - مع ما في ذلك من أبعاد بشريّة بحسناتها وسيّئاتها - وعلاقتها بالتقليد، وعصمتها. أمّا الفصل الرابع فيتضمّن نظرة سريعة إلى كلّ من المجامع المسكونيّة حتّى المجمع الڤاتيكانيّ الثاني (ص ٧٧-٨٣).

وفي الكتاب ثبت بالمصادر والمراجع ولائحة بالاختصارات، ولنا في هذا الأمر الملاحظات التالية: أما كان من الأفضل أن تُثبَت، لدى ذكر بعض المؤلّفات، ترجماتها إلى الفرنسيّة لا إلى الإيطاليّة؟ فقرّاء المشرق العربيّ أوثق علاقة باللغة الأولى منهم بالثانية. كما أنّه جدّا لو ذُكرت المجموعة المهمّة الموسومة بتاريخ المسيحيّة *Histoire du christianisme* والتي هي الآن قيد النشر في دار ديكليه Desclée بباريس وبإشراف مايور Mayeur وڤوشيه Vauchez وسواهما، وقد صدر منها حتّى الآن ثمانية مجلّدات من أصل ثلاثة عشر. ويا ليته أُخذ بالاعتبار أيضًا سلسلة «تاريخ المجامع المسكونيّة» الصادرة عن منشورات لُورانت L'Orante.

مهما يكن، فكتاب الأبوين أبرص وعرب مختصر مفيد يضع في متناول الكثيرين مجموعة من المعطيات التي يصعب الوصول إليها أو الاهتداء عبرَ مسالكها الوعرة. لذا فنحن بانتظار بقيّة السلسلة ليستطيع المثقّفون العرب فَهم شؤون المجامع المسكونيّة وشجونها، وما لها من أبعاد وتأثير في تاريخ الكنيسة.

أ. جوزف يوحنّا اليسوعيّ

Directory of Historians
of Islamic Medicine and Allied Sciences
by Sami K. Hamarneh
International Institute of Islamic Thought and Civilization
Kuala Lampur (Malaysia), 1995, LVIII + 391 pages

دليل الباحثين في تاريخ العلوم الطبّيّة في الإسلام
تأليف الدكتور سامي خلف حمارنه
كوالا لَمْبور (ماليزيا)، ١٩٩٥، ٥٨ + ٣٩٢ صفحة

الدكتور الأستاذ سامي خلف حمارنه من العلماء الباحثين العرب الذين يُشار إليهم بالبنان ويُشهَد لهم بالامتياز في الأوساط العلميّة إن في نطاق الوطن العربيّ أو على الصعيد العالميّ. فهو يُعدّ من أشهر العارفين والمؤلّفين في ميدان العلوم الطبّيّة عند العرب، واسعَ الإلمام، دقيقًا في تنقيه واستنتاجاته، إلى تواضع ودماثة خلق خبرناهما، وهما من شِيَم العلماء الأصيلين. وقد انطلق الأستاذ حمارنه في مسيرته العلميّة من موطنه الأردنّ، مرورًا بدمشق حيث تخرّج، وصولًا إلى ماليزيا حيث يدرّس ويتابع أبحاثه اليوم، بعد أن وزّع نشاطاته في الولايات المتّحدة الأميركيّة، لا سيّما بجامعة جورج تاون، وفي معهد التراث

العلميّ العربيّ بحلب وفي المملكة العربيّة السعوديّة. وله في حقل اختصاصه نحو عشرين مؤلّفًا وعشرات المقالات صدرت بالعربيّة أو الإنكليزيّة.

أمّا مصنّفه الذي نحن بصدده، فهو ثمرة سنوات من الجهود الشاقّة والأبحاث المتواصلة، تبلورت مرّةً أولى يوم نشر الدكتور حمارنه، بمؤازرة معهد التراث العلميّ في جامعة حلب، دليله الأوّل إلى الباحثين في العلوم العربيّة والإسلاميّة (١٩٨٠، ٣١٥ صفحة). ويأتي الدليل الثاني مكمِّلًا مكمَّلًا يمتاز بكثير من الصفات:

يحتوي الكتاب على ١٢٠ نبذة بيوبليوغرافيّة توزّعت على باحثين عالميّين من ٣٤ بلدًا، برزوا في ميادين الطبّ والصيدلة وكلّ ما يمتّ إلى الصحّة.

والطريف في منهج تحرير الكتاب أنّ النبذ كُتبت بقلم أصحابها ممّا يُسبغ عليها طابع العفويّة والدقّة.

وفي مطلع المصنَّف أُنردت نحو ثلاثين صفحة لسيرة مُعدِّه الشخصيّة والعلميّة تتضمّن بعضًا من لائحة مؤلّفاته الكثيرة.

ونحن، إذ نثني على صاحب هذا المرجع الثمين، نلحّ على الدكتور حمارنه ليسرع في إنهاء الموسوعة التي ينشئها الآن حول تاريخ الطبّ والصيدلة في الإسلام.

أ. كميل حشيمه

طبّ الجلد عند العرب

إعداد الدكتور حنّا توفيق بشّور

دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٠، ٥٥٨ صفحة

الدكتور حنّا بشّور مختصّ بطبّ الجلد وعضو نشيط في جمعيّات عربيّة وغربيّة تهتمّ بهذا الاختصاص. أعدّ بحثه الذي نحن بصدده الآن لنيل شهادة الدراسات العليا في مادّة طبّ الجلد، ولم يتخ من وراء عمله الذي نعته، متواضعًا، بالمتواضع (ص ٥٥١) سوى جمع كلّ المعلومات التي تمكّن الحصول عليها من خلال الكتب والمراجع القديمة والحديثة المتعلّقة بطبّ الجلد، والتي خلّفها الأجداد العرب أو ألّفها العلماء المتأخّرون (الفصول ١-١٢). وقد ضمّن بحثه بعض المقارنات بين طبّ الجلد عند قدماء العرب وطبّ الجلد الحديث، كما أبرز من خلاله بعض النتائج التي يمكن أن تكون قبسات مفيدة على درب تقدّم الطبّ العربيّ المعاصر (الفصل ١٣). وقدّم للكتاب الأستاذ الكاتب أحمد يوسف داؤد بدراسة مستفيضة حول الطبّ العربيّ سنعود إليه بعد قليل.

على الرغم من أنّ عمل الدكتور بشّور يدخل في باب الجمع والإعداد أكثر منه في معرض الدراسة التاريخيّة والتحليليّة، إلاّ أنّه جدّ مفيد، إذ وضع بين أيدينا مجموعة من النصوص القديمة، وبعضها نادر، تساعدنا على معرفة ما توصّل إليه العرب في ميدان الطبّ وما بلغوه من شأوٍ بعيد. وأصحاب تلك النصوص هم حنين بن إسحق العباديّ، وعليّ بن

سهل بن ربن الطبريّ، ومحمّد بن زكريّا الرازيّ، والشيخ الرئيس ابن سينا، وعدنان بن منصور بن العين زربيّ، وعبد الملك بن زهر، وعلاء الدين عليّ ابن النفيس، وابن قيّم الجوزيّة، ومحمّد المهداويّ المقريّ، وداود بن عمر الأنطاكيّ، ومدين بن عبد الرحمن القوصونيّ المصريّ.

والملاحظ أنّ جلّ هؤلاء الأعلام هم من عمالقة الطبّ العربيّ، ونصوصهم العديدة المذكورة توفّر للباحث المنقّب، والمثقّف الطُلَعَة، على السواء، مادّةً خصبة لإرضاء مراميه. إلاّ أنّنا كنّا نتمنّى على الدكتور الهمّام لو زوّدنا معجمًا، وإن صغير، لنفهم بعض المفردات الطبّيّة، لا سيّما ما يمتّ إلى العقاقير، لأنّها جاءت بلغة غريبة كلّيًا عن لغتنا الحديثة.

وفي ما يتعلّق بالمقدّمة التي احتلّت جزءًا لا يستهان به من الكتاب (ص ٧-١٨)، نتكمن أهمّيّتها في أنّها عالجت بعض الأمور الحسّاسة وأوضحت معالِمَ أُريد لها الطمس أو التزوير. وحسنًا ذكّر الأستاذ أحمد داؤد بأنّ العرب لم يكونوا مجرّد ناقلي علوم الإغريق وسواهم، بل إنّهم كانوا من الأسبقين هم وجيرانهم من قدماء المصريّين. فالإغريق أخذوا عن هؤلاء، وجاء العرب بعد الإسلام «فاستعادوا أصل ميراثهم ثمّ أخذوا يطوّرون ويضيفون حسب شروط وجودهم ووسائلهم المتاحة» (ص ١٣). ويضيف صاحب المقدّمة في هذا المعنى: «إنّها لملاحظة حصيفة من الدكتور بشّور إذ يقول عن ابن سينا: (إنّ مؤلّفات ابن سينا ما تزال حتّى أيّامنا هذه، أي بعد ألف عام من ميلاد هذا العبقريّ، موضوع درس وتمحيص في دول العالم. فلو كان مجرّد ناقل أو مترجم لَنُسِيَ الأصل وليس النسخة المنقولة أو المترجمة)».

ومع إقرارنا بصواب الكثير ممّا أعلنه الأستاذ داؤد، إلاّ أنّنا لا نشاطره تهجّمه العنيف في بعض المقاطع على الطبّ الغربيّ، فرغبته الصادقة في إعادة الاعتبار إلى طبّ أجدادنا لا يبرّر الحطّ من قدر طبّ الغرب ونعته بالمتكالب على المال والربح حتّى إنّه «قدّم للعالم مرض الإيدز بدلًا من الطاعون مثلًا» (ص ١٧)!

ملاحظة أخيرة. سُرِرنا بالصفحات المحرّرة بالفرنسيّة التي اختصر بها المصنّف كتابَه في آخره، وقد كُتب بلغة سلسة أنيقة ممّا قلّ نظيره لدى المثقّفين في معظم البلدان العربيّة. ومثل هذه الملخّصات تضع مؤلّفات باحثينا في متناول أكبر عدد من علماء الغرب.

أ. كميل حشيمه

A la recherche d'une modernité arabe
L'évolution des arts plastiques
en Egypte, au Liban et en Irak
par Silvia Naef
Editions Slatkine, Genève, 1996, 450 pages

بحثًا عن حداثة عربية

تطوّر الفنون التشكيليّة في مصر ولبنان والعراق

تأليف سيلفيا نايف

سيلفيا نايف باحثة متخصّصة بشؤون العالم العربيّ المعاصر، تُولي اهتمامها ما تثيره الحداثةُ من قضايا مطروحة على صعيدي الفنون والدين، خاصّة لدى الشيعة. وقد صدر لها، فضلًا عن كتابها هذا، مؤلّف آخر بالفرنسيّة عنوانه فنّ الكتابة العربيّة في الماضي والحاضر (١٩٩٢)، إلى عدد من المقالات في الدوريّات.

تسعى المؤلّفة في كتابها موضوع تعريفنا، لدراسة الفنون التشكيليّة من منطلق تطوّرها، راميةً بذلك عصفورين بحجر واحد. ولمّا كانت دراستها أطروحةً لنيل شهادة الدكتورا، فكان لا بدّ لها من أن تحصر مجال بحثها، فاختارت أن تقصره على بلدان ثلاثة من بين سائر البلدان العربيّة. ذلك بأنّ كثيرًا من المسائل المطروحة حول الموضوع في البلاد العربيّة هي متشابهة وإيرادها يطول وينطوي على الترداد. ورأت الباحثة أن تلتفت إلى البلدان الثلاثة المذكورة لأنّ فيها، قبل سواها، انطلقت الحركة التشكيليّة الحديثة واتّسع نطاقها. كما أنّ البلدان الثلاثة هذه مثّلت مواقف وخبرات مميّزة ومتمايزة بالنسبة إلى الغرب وثقافته، لأنّ المرحلة الأولى من مراحل مسيرة الفنون التشكيليّة في الوطن العربيّ اتّصفت بتشبّهها بالغرب إلى حدّ بعيد.

يفرد الكتاب لكلّ من مصر ولبنان والعراق فصلًا، يُستنتج منها أنّ الفنون التشكيليّة انطلقت في مرحلة أولى من مراحلها الحديثة (١٨٨٠-١٩٢٠) بالتماهي مع الغرب، ثمّ انتقلت في مرحلة تالية، وبالتزامن مع تكوين الشعور الوطنيّ، إلى التأصّل في الجذور التراثيّة، بعد مرورها بتجربة التجريد مرورًا سريعًا. وقد بيّنت سيلفيا نايف، بعد تحاليلها المستفيضة ودرسها المعمّق آثارَ عدد كبير من المبدعين، أنّ الفنّ التشكيليّ العربيّ، على الرغم من عودته إلى التراث، قد نجح إلى حدّ ما، في «تحديث» ذاته عن طريق المصالحة بين القديم والجديد، إذ لا تقدّم حقيقيًّا بنفي التراث، ولا حداثة حقيقيّة بمعزل عن التيّارات المعاصرة.

ومن حسنات كتاب الدكتورة نايف أنّه ذُيّل بعددٍ من الملاحق، أوّلها مجموعة بيانات خاصّة بالفنّ أُطلقت في مصر والعراق، وثانيها نُبَذ بيوغرافيّة تناولت الفنّانين المذكورين في المصنّف، وعددهم يناهز المائة، إلى لائحة واسعة بالمراجع العربيّة والأجنبيّة، وفهرس للأعلام.

وإن كان لنا من ملاحظات سلبيّة على عمل سيلفيا نايف المميّز، فجلُّها من باب

التساؤلات أو الاقتراحات. وأوّل سؤال نطرحه: لِمَ خُصّصت حصّة الأسد بفنّ الرسم وأُهمل النحت حتّى كاد لا يكون له وجود؟ أليست الدراسة شاملةً الفنون التشكيليّة كلّها؟ ثمّ لِمَ أُهمل بعض الفنّانين الكبار ممّن طبّقت شهرتهم الآفاق، كعارف الريّس وإيلي كنعان في الرسم، والإخوة بصبوص وحليم الحاج وسواهم في النحت؟ وما ذكرنا هذه الأسماء إلاّ على سبيل المثال لا الحصر.

ثمّ نسأل: أما كان أجدى لو جعلت المؤلّفة في مطلع كتابها لائحة بالاصطلاحات التي اعتمدتها لكتابة الحروف العربيّة؟ فإنّها قد استعملت أساسًا الاصطلاحات التي درج عليها اليوم معظم المستشرقين، ولكنّ القارئ غير المتخصّص يجد صعوبة في تهجيتها، إن لم تكن أمامه لائحة مفصّلة. هذا فضلًا عن أنّ المؤلّفة شذّت عن القاعدة في حرف واحد (لماذا؟) وهو حرف الخاء الذي نقلته بـ Ḵ بدلًا من Ḫ كما هو متعارف عليه.

ونتساءل أيضًا: لِمَ حُرمنا بعض اللوحات الملوّنة؟ فما أوردته المؤلّفة من الصور باللونين الأسود والأبيض قَصُر، على الرغم من نوعيّة طباعته الممتازة، في إرواء فضولنا. ولكنّنا نتفهّم ضرورات الاقتصاد في هذا المجال المكلّف جدًّا.

وثمّة أغلاط طفيفة تلفت إليها بغية تصحيحها: كُتب اسم الرسّام وجيه نحلة على النحو التالي: Nahlé (نهلة) عوضًا عن Nahlé (ص ١٧٧، ٣٩٨، ٤٣٩)، ونُقل اسم بلدة عَنّايا إلى الفرنسيّة بصورة 'Inâyâ (عنايا) بدلًا من 'Annâyâ (٣٩٢).

ختامًا نهنّئ المؤلّفة سلفًا نايف على كتابها القيّم. فهو أشبه بموسوعة موثّقة، شبه كاملة، لا مندوحة عنها لكلّ مَن يهتمّ بالفنون التشكيليّة في العالم العربيّ. وحبّذا لو ينقله بعضُ الغيارى إلى لغتنا!

أ. كميل حشيمه

Le Cinéma libannais
Itinéraire d'un cinéma vers l'inconnu
(1929-1996)
par Hady Zaccak
Dar el-Machreq, Beyrouth, 1997, 208 pages

السينما اللبنانيّة

مسار سينما نحو المجهول (١٩٢٩-١٩٩٦)

تأليف هادي زكّاك

هادي زكّاك خرّيج «معهد الدراسات المسرحيّة والسمعيّة البصريّة» التابع الجامعة اليسوعيّة في بيروت. وعلى الرغم من حداثة سنّه فقد خاض غمار موضوعه المتشعّب غير هيّاب، واستطاع أن يرسم لوحة متكاملة حيّة أبرز فيها مراحل مسيرة السينما اللبنانيّة بجدارة تستوجب الثناء.

إنطلق فأشار إلى البدايات ومحاولات جُردانر بيدوتي وعليّ العريس التي لم يُكتَب لها العمر المديد، ثمّ انتقل إلى أعمال الروّاد المحترفين من أمثال جورج قاعي وميشال هارون وجورج ناصر الذين حاولوا أن ينشئوا في الخمسينيّات سينما لبنانيّة سرعان ما طغى عليها شبح الشقيقة المصريّة الكبيرة. وبيّن بعد ذلك ما راج في الستّينيّات من أفلام استعراضيّة وبدويّة وبوليسيّة وأفلام تروي مآثر المقاومة الفلسطينيّة، وقد برز في تلك الحقبة نجم محمّد سلمان. وتميّزت آنذاك أيضًا أفلام الرحابنة في حين تفاوت مستوى الأفلام «الثائرة» التي أخرجها غاري كرابيديان وسمير نصري. وفي مطلع السبعينيّات حاول المخرجون الجدد، كمثل جورج شمشوم وسمير الغصينيّ وسمير خوري التجديد، كلٌّ بأسلوبه، فأقحموا المشاهد الغراميّة أو العنيفة على المنوال الغربيّ.

إلاّ أنّ المحاولات الجدّيّة أبصرت النور إبّان الحرب، فسطعت أسماء مخرجين مفكّرين: مارون بغدادي، برهان علويّة، جوسلين صعب، جان شمعون، ونده شهّال، نال بعضهم جوائز في المهرجانات الدوليّة. وفي تلك الأثناء كثرت أفلام الحركة (أكْشِن)، فتوالت بعد الحرب، وأخرج سمير حبشي فيلمه الشهير «الإعصار» الذي أحدث، على ما يبدو، إعصارًا حقيقيًّا (!) واقتدى به جان كلود قدسي وليلى عسّاف.

لقد جال هادي زكّاك في مطاوي تلك المراحل، واصفًا محلّلاً وإن باختصار، فانتهى به المطاف إلى الإقرار بأنّ السينما اللبنانيّة ما زالت اليوم تبحث عن جادّة واضحة المعالم، وهي ما فتئت تسير نحو المجهول.

كتاب زكّاك جليّ القسمات، ممتع القراءة، مفيد، يزيد من محاسنه ملحقان: أوّلهما فهرس مفصّل للمخرجين مع لائحة بالأفلام التي أخرجوها وتواريخها، والثاني فهرس الأعلام. فليت المؤلّف ينقل مصنّفه إلى العربيّة لتعمّ فائدته، ويكون لقرّاء الضاد سِجلّ للسينما اللبنانيّة على نحو ما فعله كتّاب عرب في الأقطار الشقيقة، من مثل جان ألكسان بكتابه تاريخ السينما السوريّة (١٩٢٨-١٩٨٨)، دمشق، ١٩٨٨.

أ.ك. حشيمه

الأرض المقدّسة

دليل سياحيّ وروحيّ مصوّر

تأليف الأب موسى الحاج الأنطونيّ

منشورات كلّيّة العلوم البيليّة المسكونيّة والأديان، بعبدا، ١٩٩٧، ١٨٤ صفحة، مصوّر

هذا الدليل فريد من نوعه لم نَرَ له مثيلاً في اللغة العربيّة حتّى الآن. وقد نجح مؤلّفه، الأب موسى الحاجّ، أن يقدّم إلى قرّائه، في قليل من الصفحات - نسبيًّا - الكثير الكثير من المعلومات، في جميل إخراج ووضوح عرض وسموّ معانٍ. وممّا ساعد حضرة المؤلّف في بلوغه الأرب أنّه اختصاصيّ بالكتاب المقدّس وآباء الكنيسة، وأديب ومصوّر فنّان، أتيح له أن يشاهد عن كثب جميع الأماكن التي وصفها وعاش فيها ردحًا من الزمن متأمّلاً متعمّقًا،

فنقل إلى مطالعيه ثمار خبرته في الأراضي المقدّسة على نحوٍ يتيح لهم الحجّ معه إلى الأماكن التي قدّسها السيّد المسيح مدّة حياته فيها.

يتصدّر الكتاب مقدّمة تصف «الأرض المقدّسة» بإيجاز في تقسيماتها الجغرافيّة وجذورها التاريخيّة وواقع المسيحيّين فيها. ثمّ يتوزّع الدليل على ثمانية أقسام تقود السالك معها بحسب تسلسل أحداث حياة المسيح، فيتناول القسم الأوّل الأماكن التي لها علاقة بزمن البشارة بولادة يسوع، والقسم الثاني ما يمتّ إلى الميلاد، وهكذا دواليك مرورًا بتجربة المسيح في البرّيّة ورسالته في الجليل، حتّى القسم الثامن الذي يعرض ما له صلة بعمّاوس وكنيسة الصعود. وفي آخر الدليل فهرس لآيات الكتاب المقدّس التي وردت في النصّ، علمًا أنّ الغاية من الكتاب هي روحيّة أكثر منها سياحيّة.

وليُسمَح لنا في ختام هذه العجالة التي لم تقل إلاّ بعضًا ممّا يستحقّه مصنّف الأب الحاجّ من ثناء، أن نقترح عليه، وعلى سواه الكثيرين، عدم استعمال لفظة «بيلبة» أو «بيلبّة»، كما نلاحظه في أيّامنا، والاستعاضة عنهما بما هو أصحّ ويمتع التقاء الساكنين، فيقال: بِلْبا، وبِلبِيّ، وبِلبيّة...

أ.ك. حشيمه

النبيّ

تأليف جبران خليل جبران

ترجمة نويل عبد الأحد

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ١٢٠ صفحة

أورد الأستاذ عبد الأحد تحت عنوان الكتاب العبارة التالية: «صياغة جديدة». ولقد كان رائده لمّا باشر ترجمة النبيّ الذي كثرت ترجماته إلى العربيّة، توخّي فَهْم فكر جبران على نحو أفضل بعد أن أسيء فهم بعض هذا الفكر في الترجمات السابقة. ويقول الناقل في مقدّمته إنّه قام بالعمل «مبتعدًا قدر الإمكان عن حرفيّة الترجمة، موليًا اللباب الأهمّيّة التي يستحقّها، موضحًا ما قد غمض في بعض سياقاته. وحاولتُ أن يكون أسلوب الأداء مضارعًا الأسلوب الجبرانيّ السهل الشاعريّ الصور». هذا عين الصواب، وأنعِم به منهجًا. وأوود نويل عبد الأحد نماذج من ترجمة نعيمه ميّنًا ما سقط فيه من أشراك حذّر هو نفسه المترجمين من الوقوع فيها. فهل نجح الناقل الجديد في ما سعى إليه؟ أجل، في كثيرٍ من الأحيان وهو في ذلك لَمشكور. ولكن، لمّا كانت العصمة لله وحده، فقد تعثّر قلم الناقل هنا وهناك، فلكلّ جواد كبوة. وعلى سبيل المثال نسوق ما يلي:

In their fear your forefathers gathered you too near together. And that fear shall endure a little longer. A little longer shall your city walls separate your hearths from your fields.

أمّا عبد الأحد، فذكر ترجمة نعيمه الناقصة ثمّ أورد ترجمته البديلة وكتب: «فأجدادكم جمعوكم، في خوفهم عليكم، بعضكم إلى بعض، وستطول إقامة الخوف بينكم وتظلّ

جلران المدينة حائلًا إلى حين بين بيوتكم وحقولكم». ولقد أخفق، في نظرنا، أقلّه مرّتين، إذ أهمل لفظة too، التي بها أراد جبران المبالغة في عمليّة الجمع، وكذلك أهمل عبارة a little في ورودها الأوّل فقال: «ستطول إقامة الخوف بينكم»، في حين يجب القول: ستطول إلى حين، لا سيّما أنّ ترداد العبارة عند جبران له سببه ومدلوله.

مهما يكن، فكلّ محاولة تسعى للأفضل هي محمودة. لذا، فنزيل عبد الأحد مشكور.

أ. كميل حشيمه

جبران ونيتشه: النبيّ وزرادشت

تعريب، دراسة، مقارنة

بقلم الأب يوحنّا قمير

مؤسّسة نوفل، بيروت، ١٩٩٧، ٥٢٤ صفحة، تجليد فنّيّ

هذا كتاب مأثرة، ولا أحد بأقمَن له من الأب يوحنّا قمير، أستاذ الفلسفة المخضرم الذي تخرّج على يده المئات، والناقد الحصيف، والناقل الدقيق، والشاعر الناثر الملهم. ويزيدك ارتياحًا إلى كتاب الأب قمير الجديد هذا أنّ صاحبه سبق له أن نشر كتابين عالج في أوّلهما موضوع نيتشه نبيّ المتفوّق (دار المشرق، ١٩٨٦) وأسمى الثاني جبران في الميزان (دار المشرق، ١٩٩٢). فهو إذًا مالك ناصية موضوعه ومحيط بجوانبه كافّة.

أمّا تعريبه، فهو يتّصف بالدقّة الفائقة وجمال التعبير وحسن وقع موسيقى الجُمَل، فتقرأ نثرًا وكأنّك في معرض إنشاد قصيد.

وأمّا الدراسة والمقارنة فتدفعانك إلى التساؤل: ما بال كاهن ورع يتصرف إلى الاهتمام بمفكّرَيْن عُرفا بخروجهما على الإيمان المسيحيّ؟ فيأتيك جواب المصنّف أنّه تصدّى «لأخطر ما خالفا فيه هذا الإيمان»، تصدّى «بالرأي والبرهان، ليسلم القارئ - وهو يقرأ! - من المعاطب والضلال». ويردف يقول: «لدى نيتشه وجبران قمح وزؤان، ومتى أحجم العاقل عن حصاد قمحه، إذا ما خالط القمح زؤان؟» (ص ٨). وهنا تجدر الإشارة أيضًا إلى أحد الأسباب التي دفعت الأب قمير إلى القيام بعمله، وهو أنّ العالم العربيّ الراهن ولبنانُ اليوم يعانيان «ما يعانيان من شعور بالعجز واليأس، فقراءة نيتشه، الداعي إلى الأمل، والنضال، والتفوّق، قد يبعث الهمم، ويدعو إلى الثقة بالنفس، وبالمستقبل، فنطمح، ونغالب، ونقضي على الواقع الكئيب» (ص ٧). حقّق الله الآمال!

أ. كميل حشيمه

في الفجر بيتي

تأليف روّاد طربيه

دار المراد، بيروت، ١٩٩٧، ٢٨٠ صفحة

بين دفّتي غلافٍ اختيرَ له من الورق أجوده ومن الألوان أصفاها، وعلى متن كتاب، ضمَّ الفاخر والناصع الأبيض من الصفحات في تصميم وإخراج بارزين، وبحروفٍ لا تعوزها الجماليّة، أسقط الشاعر روّاد طربيه تجربته الشعريّة صاحبة الثلاثة والأربعين ربيعًا.

«مَن قدَّم لشعره قدَّم له عكّازًا يتوكّأ عليها مخافة الوقوع لضعفه. فالشعر الصحيح يقدّم نفسه بنفسه ككلّ فنّ صحيح، ويتقدَّم متصبًا، ثابت القدمين، بوجه الريح» (الديوان، ص ٧). إذ كيف يطرد الخوف مَن يودّ الكلام - ولو بإيجاز - على الديوان، سيّما وإن كان من خارج مدرسة الشعراء والنقدة أمثال المؤلّف؟

في مقدّمة تحت عنوان «مدخل» جاءت في صفحات خمس، تكلّم الشاعر على عدّة أمور أهمّها: صعوبة تحديد الشعر، الفرق بين الشعر والقصيدة، تاريخيّة الديوان، كيفيّة سقوط الوحي على مخيّلة الشاعر، تحديد شعره في الديوان لجهة المضمون والشكل الشعريّ، ميزة ناقل الشعر على صانعه وصعوبة تحديد الشعر الجيّد، تشبيه القصيدة بأوصاف من صميم الطبيعة، موقع الشاعر في العالَم وميزته على سائر الناس، حياة القصيدة ودورها في خلاص العالم، لمَن تُعطى القصيدة، وهل ثمّة مجّانيّة في العطاء؟

وزّع الشاعر قصائده على تسع مجموعات، فأعطى كلّ مجموعة عنوانًا مستقلًا، وهي على التوالي: الشعر أحلام واعية - ديمومة الحبّ - خصوصيّات - ماسّة تشعل الأزل والأبد - على بَرَكات الماء - المآسي والمعاصي - مواسم - من الأعماق - دوائر الزبد. كما أنّه ذيّل بعض قصائده بتواريخ ظهورها، ممّا يفيد القارئ بوجه عامّ، والناقد الدارس بوجه خاصّ، بحيث يمكنه المقارنة والمفاضلة بين البواكير الشعريّة والنضيج.

لقد حافظ الشاعر على القافية الواحدة الموحّدة، كما قال في المدخل، في جلّ قصائده، وعلى التفعيلات الثماني التي يجري عليها اللحن. لكن، كان يجدر أن يكون التشكيل أو الضبط متكاملًا، لأنّ لغة الشعر المقفّى الموزون غيرُها في الكتابة النثريّة، إذ ما يلزم في النثر لفهم المعنى وأداء الوظيفة غير كافٍ في الشعر لجهة الموسيقى والمحافظة على الإيقاع. فالأسباب والأوتاد والفواصل التي تؤلّف التفعيلات الشعريّة، أي أجزاء البيت تتكوّن كلُّها من متحرّكات وسواكن منتظمة. إنّ إهمال همزة قطع مثلاً (متحرّكة) قد يجعلها همزة وصل (ساكنة)، وإهمال الشدّة عن حرف مشدّد (ساكن فمتحرّك) يجعله حرفًا غير مشدّد (ساكن أو متحرّك). ولا ضير في الشعر إن وضعنا الشدّة على الحرف الشمسيّ، لأنّ لفظها ضروريٌّ للإيقاع الشعريّ، ولأنّ الشاعر لا يثقل وضعها في الأماكن الأخرى في الكلمة، كما أنّ التنوين ضروريّ في سياق البيت أو في آخره. لا شكّ في أنّ هذا النقص الطفيف عائد إلى ثغرة في الطباعة، لا شأن للشاعر بها، وقد يتداركها القارئ صاحب

الأذن الموسيقيّة، ويتعثّر بها بعض الشيء القارئ الذي تسبق عينُه الأذن. على سبيل المثال لا الحصر:

هُنيهةٌ حمراء (ص ٥٣ - س ١)؛ حتى لأنتِ بَلَلَةُ الضياء (ص ٥٤ - س ١٧)؛ أُحبك مِظفَرَةً نافرةً... (ص ٥٥ - س ٧)؛ أنك أنت الحيُّ في النعش (ص ٥٧ - س ٢)؛ يصطادُه يودي به هذا انا السمك.. (ص ١٠٩ - س ٩).

أترك لكلّ قارئ متذوّق الدخول في عالم الشاعر النفسيّ من خلال هذه القصائد التي على حدّ تعبير طريه. فالحالات النفسيّة قد تتشابه وقد تتعارض، ولكلّ شاعرٍ عالمه الداخليّ الخاصّ. ومن الصعب على قارئ لا ينظم الشعر أن يبدي رأيًا في تجربة شعريّة، إذ قيل قديمًا: «فاقد الشيء لا يعطيه».

ليس غريبًا أبدًا أن تلقى هذه التجربة الشعريّة الرواج الذي تستحقّه، فصاحبها مثقّف متخصّص، طويل الباع في الأدب، وهو متعدّد المواهب في هذا المضمار: فمن الفرنسيّة إلى العربيّة نقل النثر والشعر؛ ومن العربيّة إلى الفرنسيّة نقل أيضًا الشعر العموديّ والشعر الحديث؛ ومن الإنكليزيّة إلى العربيّة نقل؛ وفي شؤون الثقافة وشجونها دبّج وحبّر.

أن ينظم المرء شعرًا فهو صاحب موهبة وخيال، لكن، أن ينقل شعرًا من لغةٍ إلى أخرى فهو صاحبُ موهبة وعلمٍ وتخصّص وثقافة وتضلّعٍ من اللغات، قلّ أمثاله لا سيّما في هذه الأزمنة.

ريمون حرفوش

سَفَر بلا مسافات

تأليف الأب كميل مبارك

منشورات الحكمة، بيروت، ١٩٩٦، ١١٦ صفحة

عرفنا الأب كميل مبارك مربّيًا عالي الهمّة يرئس معهدًا من أعرق صروح العلم في المشرق، مدرسة «الحكمة»، وقرأنا له في الصحف والمجلّات مقالات أدبيّة ونقديّة جُمع بعضها في كتابه المعنْوَن الله على ألْسِنة الشعراء (١٩٩٤)، وطالعنا له شعرًا في ديوانين درّتين، أوّلهما قناديل لا تنطفئ (١٩٨٧)، والثاني حين تُزهر الجراح (١٩٩٢)، وعنوان كليهما ينبئ بما تصبو إليه نفْس الشاعر من قِيَم في ما وراء الظلمات المحدقة والآلام. وها نحن اليوم أمام ديوانه الثالث سفرٌ بلا مسافاتٍ، به حلّق أيّما تحليق.

يستهلّ المبارك مجموعته بإهداء يهمسه متواضعًا: «هذه يا ربّ وزنة ثالثة، قد ربحتها حين تاجرتُ بما أعطيتني من الوزنات، فاقبلها هديّةً لك ممّا لك» (ص ٥)، فلا بدّ من أن نشهد له بأنّه أحسن المتاجرة بهذه الوزنات وضاعف الربح وزاد. شِعر الأب كميل سهل الكلام، ينساب سلسًا، رقيق الشعور والعبارة، عميق الإشارة، لا يكاد يلمّح بصورة حتّى تطير معه المخيّلة إلى أعالي الأجواء الجماليّة والروحيّة حيث النور ساطعٌ دافئ. إسمعه

يُنشد، وهو قليل من كثيرٍ ما أنشد، فيقول: «أنا لي عالَمٌ آخرُ له شمسٌ بلا قمَرٍ له صبحٌ دوامَ الصبحِ إشراقٌ بلا سَحَرِ له نهرٌ بلا نبعٍ له نغمٌ بلا وترٍ له مِن دُونِ معصَرةٍ رحيقُ الخمرةِ العَطِرِ له من دون معصيةٍ ثمارُ الأرض والشَجَرِ أنا لي عالَمٌ آخرُ له أحيا سوادَ الليلِ أذكرُه مدى سَهَري له أصبو مدى العُمُرِ...» (ص ٨٩).

إنّها والحقّ يُقال عصارة تجربة إنسانيّة خالصة، خبرت الدنيا وما فيها من جمالات فسَمَت بها وأعادتها إلى أصلها. إن كان جميلُ الشعر رائعًا بحدّ ذاته، فإنّ روعته تزداد تألّقًا حينما يقترن بالصلاح والحقّ ليغدو تالوثًا على صورة الثالوث الأساس.

ولئن رفَعْنا محتوى الديوان إلى الأسمى، فقد حاكاه الإخراج سموًّا، بجودة الطباعة، وصقيل الكاغد، وخاصّةً جمال الصور الشمسيّة التي عكست كلّ واحدة منها مضمون فصلها، لا بل زادته إيحاءً على إيحاء.

سِفْر الأب كميل مبارك هو بالحقيقة «سَفَرٌ بلا مسافات»، تنطلق معه بعيدًا إلى أبعد الحدود، في لمحة طرْف، وأنتَ تلامس متشيًا تخومَ الأبد.

أ. كميل حشيمه

الطوروبو، ملك في المنفى

تأليف إلياس مقدسيّ إلياس

عدد خاصّ من مجلّة «الحكمة»، بيروت، نيسان ١٩٩٧، ص ٨-٥٠

لقد عُرِف الروائيّ إلياس مقدسيّ إلياس بتاج خرج عن الأساليب المعهودة واتّصف بتكثيف الدراما في ما لا يتعدّى الساعتين، ومعالجة أعنف المآسي بأسلوب متارع لاهث، وأحداث متدافعة، ونتائج مفاجئة، وتحليل دقيق ينفذ إلى أغوار النفس البشريّة المتألّمة. وأغلبيّة آثاره مستوحاة من واقع المشرق السريانيّ الذي ينتمي إليه هذا المبدع المتعلّق بتراثه، المتشبّث بجذوره يفخر بها ويمجّدها.

أمّا قوام الرواية فهو أنّ أسرة «الطوروبو»، ومعناه بالسريانيّة «الجبليّ» نسبة إلى جبل (طُور) عابدين، كانت في مأزق، وكان لا بدّ لإنقاذها من الإبادة في الحرب اللبنانيّة الأخيرة، من أن يضحّي أحد الزوجين العجوزين بنفسه ويقضي متحرًا! وتُظهر أحداث هذه الرواية قصّة حبّ فريدة في أبعادها الإنسانيّة: فمَن من الزوجين سيضحّي بنفسه؟

يبقى أن نُشير إلى أنّ إدارة مجلّة الحكمة ومعها عدد من الأدباء والفنّانين ورجال الصحافة المعروفين رشّحوا إلياس مقدسيّ إلياس لجائزة نوبل للآداب للعام ١٩٩٧ وذلك، بحسب ما قاله أحدهم، الأديب والشاعر جورج جرداق «انطلاقًا من (...) تفرّد هذا الكاتب الروائيّ، على مدى أربعين عامًا، بتاج أدبيّ يزخر بالأبعاد الإنسانيّة والمضامين التي تلقي النور على مميّزات الإنسان الحضاريّ حقًّا لا ادّعاءً، في أُطُر مبتكرة جديدة

للميلوديا الدراميّة تكشف عن جوانب هامّة كانت مجهولة من قبل، حتّى عند أساطين الدراما العالميّين» (ص ٤). فهل يحالف الحظّ صاحب الطوروبو؟

أ.ك.ح.

من قلبٍ محروق

تأليف شاهين نقولا داغر

مطبعة أنطون الشمالي، درعون (لبنان)، ١٩٩٦، ١٢٠ صفحة

من يُمِّم الخالق على الجبل اللبنانيّ آنه، بالإضافة إلى ما يزيّنه من جمال الطبيعة، فهو يضمّ شعبًا مَلَك موهبة الشعر على نحوٍ قلّ نظيره. فما من قرية من قُراه، وما من أسرة من أسره، إلاّ أنبتت شاعرًا من شعراء الفصحى أو أقلّه زجّالًا عُرف على نطاق كثيرًا ما تعدّى حدود بلدته. وشعراء الزجل اللبنانيّون فُطروا على سرعة البديهة، وجمال سبك الكَلِم، وتناغُم الإيقاع، وبُعد آفاق الخيال، وبليغ الحِكم. وقد راح بعض المثقّفين في الآونة الأخيرة يهتمّون بجمع ما خلّفه أنسباؤهم المغمورين من هذا القبيل لنشره وضمّه إلى باقي التراث الزجليّ المعروف. ونعمّ ما فعلوا. ومن هذا المنطلق لا بدّ من تثمين ما قام به الدكتور نقولا شاهين داغر إذ أصْدَر ما استطاع جمعه من أشعار والده تخليدًا لذكراه. فالرجل يستحقّ أن يُعْرَف، لا لكونه مَلَك سِمات الزجّال المتفوّق المعروفة وحسب، بل لأنّه إلى ذلك إنسان تحلّى بأبهى الصفات الإنسانيّة، ومتى اجتمع الشعر الحسن والإنسان الحسن، تألّق الجود والجمال والحقّ. ويأخذ منك العجب، بل الإعجاب، وأنتَ تنشد أبياتَ شاهين داغر، ذاك الرجل الوديع المتواضع الذي لم يتعلّم الكثير في كتب العلماء، لأنّك تلمس في شعره حكمة الحياة نَهَلَها من أسفار الأيّام. وما جعل نتاجه يزداد تألّقًا أنّه اضطرم بنار المحنة والهجرة وحنين الغربة فاشتعلت كلماته كما اشتعل قلبه المحروق، وإنّه وإن ذاب كالشمعة بعيدًا عن جبله، إلاّ أنّه سيظلّ يضيء لأنّ ذكر الصدّيق، صاحب الكلمة الصادقة، يدوم للأبد.

ك. ح.

دواعي الإيمان في عصرنا

تأليف الأب جبوئانّي مارتيني البسوعي

سلسلة «دراسات لاهوتيّة»، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٧، مجلّدان، ٥٦٠ صفحة

يُقسم هذا الكتاب إلى جزئين: ١) أترى الله موجود؟ ٢) هل الله يكلّمنا؟ وقد نقل الجزء الأوّل إلى العربيّة المرحوم الأب يوسف توشاتجي، والجزء الثاني الدكتور جورج مصري الأستاذ في جامعة حلب.

إنّ ما يميّز هذا الكتاب عن أكثر الكتب التي تبحث في براهين وجود الله، أو في الأسباب التي تدعونا إلى الإيمان بوجود الله وبألوهيّة المسيح، هو أنّ تلك الكتب تنحصر

عامّة في البراهين الفلسفيّة، في حين أنّ الكتاب الذي بين أيدينا لا يُهمل وجهًا من وجوه المعرفة والأنتروبولوجيّة، بل يستند، بالإضافة إلى المنطق، إلى الاعتبارات العلميّة والاجتماعيّة والخُلُقيّة والوجوديّة والتاريخيّة.

وأفضل دليل على قولنا هذا بعض العناوين التي وردت في صفحات الكتاب: بلاز بَسْكال ودواعي القلب (٢٥)، أليس في الطبيعة آثار لله؟ (٣٩)، اكتشاف الله عند العلماء (٤٠)، إيمان بلانْكْ وأينشتاين (٦٤)، شروط نشأة الحياة وبقائها في الأرض (٦٩)، يختلف الحيّ عن الآلة كلّ الاختلاف (٧٠)، تسقط الأوراق من غير أن يتدخّل الله (٧٥)، بيار تيّار دي شاردان والجذب إلى نقطة أوميغا (٨٣)، أيقبل العلم أنّ للكون بدءًا؟ (٨٨)، التناسخ (١٩٣)، التأمّل الشرقيّ: اليوغا والزين والصلاة التأمّليّة المسيحيّة (٢٠١)، لا وجه لله بدون المسيح (٢١٥)، يوغا والمسيح والألم (٣٠٣)، الإيمان وعلم الاجتماع (٣١٥)، الأدب المعاصر وأزمة القيم (٣٥٩)، «موت الله» والأدب المعاصر (٣٦١)، التحليل النفسيّ والعصاب الاجتماعيّ (٣٦٧)، شهود يهوه وتأجيل نهاية العالم (٤٥٤)، الباراسيكولوجيا والإيمان (٤٦٧)، أين الحدّ الفاصل بين المعجزة والباراسيكولوجيا؟ (٤٨٧)، إلخ. ولا شكّ في أنّ هذا الكتاب يسدّ ثغرة في حقل الدراسات اللاهوتيّة بالعربيّة، وسوف يجني قارئه الكثير.

أ. صبحي حموي

أربعون سنة

الرسالة العامّة التي أصدرها البابا بيّوس الحادي عشر (١٥ أيّار ١٩٣١)

ترجمة وإعداد الأب جورج أبو جودة اللعازريّ

منشورات حركة «عدالة ومحبّة»، الرقم ٢، بيروت، ١٩٩٦، ١٩٢ صفحة

أخذت حركة «عدالة ومحبّة» على عاتقها تعريف قرّاء العربيّة بتعليم الكنيسة الاجتماعيّ، فأصدرت في العام ١٩٩٥ باكورة أعمالها، إذ نشرت أولى الرسائل البابويّة العامّة الكبرى في هذا الشأن، وهي رسالة لاون الثالث عشر الشؤون الحديثة. وفي أواخر ١٩٩٦، أصدرت رسالة أربعون سنة التي وجّهها البابا بيّوس الحادي عشر إلى الكنيسة والعالم بعد مرور أربعين حولًا على الرسالة الأولى.

يتميّز المؤلَّف الذي أعدّه الأب جورج أبو جوده بمجموعة من الصفات جعلته جزيل القيمة والفائدة. فقد وضع حضرته مقدّمة ضافية موثّقة لترجمته (ص ٧-٨٠) بيّنًا الظروف والأحداث التي كُتبت الرسالة في أثنائها، ممّا يتيح للقارئ العربيّ الإلمام بالموضوع في جذوره، ويتسنّى له استلهام النصّ البابويّ لإرساء أسس المستقبل إرساءً متينًا سليمًا.

أمّا الترجمة العربيّة فقد عُرضت على مدقّق لغويّ ضليع هو الأب جميل السقلاوي المعروف بمؤلّفاته الكثيرة، ممّا أضفى على الأسلوب صحة الإتقان والسلاسة.

وزيادةً في خدمة المطالعين والباحثين، ذُيّل الكتاب بعدد من الملحقات: أوّلها عَرَض سيرة يوّس الحادي عشر وشخصيّته، والثاني عرّف الأساليب الاجتماعيّة ودورها في نشر تعاليم الكنيسة وتطبيقها، وآخر أبرز الوثائق الأساسيّة الصادرة عن المجالس الأسقفيّة في الشأن الاجتماعيّ، ورابع بيّن تأثير رسالة الشؤون الاجتماعيّة على الصعيد الدوليّ، وخامس وأخير درس الرسالة التي وجّهها المجمع الرومانيّ المقدّس إلى الكردينال ليبنار في الخامس من حزيران ١٩٢٩، ويدور موضوعها حول المبادئ التي ينبغي أن تقوم عليها الحركة النقابيّة المسيحيّة.

الأب جورج أبو جوده مشكور، ومشكور معه جميع أعضاء حركة «عدالة ومحبّة» لما قاموا به وسيقومون من أجل نشر تعاليم الكنيسة السامية في الشؤون الاجتماعيّة.

أ.ك. حشيمه

معنى البرّيّة لزماننا الحاضر

قراءة معاصرة في سيرة القدّيس أنطونيوس

تأليف الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

سلسلة «الحياة الروحيّة»، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٧، ١٣٢ صفحة

يتابع الأب سيداروس أبحاثه في واقع الحياة الرهبانيّة مع صدور هذا الكتاب: معنى البرّيّة لزماننا الحاضر، بعد أن أصدر كتابه في هويّة الحياة الرهبانيّة، وهو يعدُّ لإصدارٍ آخر بعنوان قراءة في تاريخ الحياة الرهبانيّة (الصفحة ٧، الحاشية رقم ٣). والواقع أنّ سيرة القدّيس أنطونيوس الكبير، من وضع أثناسيوس الرسوليّ، ما زالت تستهوي الباحثين، بعد أن قرّ الرأي الجامع بأنّ هذه السيرة هي بالفعل من قلم القدّيس أثناسيوس، مع أنّ محتوى الكتاب أو السيرة، وخصوصًا ما جاء على لسان القدّيس أنطونيوس، أمرٌ مشكوك في صحّته، والجدل على أشدّه لمعرفة ما إذا كان أنطونيوس قد نطق ببعض ما جاء في سيرته أم إنّ أثناسيوس قد حدّد هو بنفسه علامات الأنموذج الفارقة المميّزة، وهو أنموذج الساعي إلى الكمال المسيحيّ التامّ.

وربّما يصحّ السؤال في هذا الإطار: هل سيرة القدّيس أنطونيوس تتضمّن العناصر الأساسيّة لروحانيّة البرّيّة أو لمعناها؟ لا شكّ في أنّ الأب سيداروس قد استخرج من سيرة أنطونيوس النقاط الأساسيّة في هذه الروحانيّة، كلقاء الله ومواجهة الشرّير والانفصال عن البشر، وكذلك الحضور للبشر والبرّيّة والترحال والاستقرار. إلاّ أنّ قراءة المؤلّف لهذه النقاط ربّما كانت قراءة إسقاطيّة في بعض الحالات: عندما ينفي أن يكون الانتقال إلى البرّيّة هروبًا من البشر (ص ٣٥)، وعندما يؤكّد أنّ مواجهة الشرّير هي حرب على العنصريّة (ص ٥٣). والأمر نفسه ينطبق على باقي النقاط المستخرجة من سيرة القدّيس أنطونيوس. وعندما نعالج نصّ السيرة على هذا النحو في قراءة عصريّة، ربّما نُفقد النصّ معالمه ومعانيه الأساسيّة. فالمعروف، وهذا ما نراه في كتاب حِكَم آباء البرّيّة (نشرة الأب كميل حشيمه،

دار المشرق، ١٩٩٦)، أنّ روحانيّة البرّيّة هي روحانيّة «القلب» أو قراءة الخواطر على مستوى القلب. وهدف العمل والممارسة الزهديّة هو الوصول إلى تلك الحالة من السلام الداخليّ، علامة الغلبة على الشرّير والكبرياء. ومن الواضح أنّ تلك الروحانيّة كانت تشدّد على التميز أو الفرز بين الزهد وممارساته المؤدّية إلى التطهير والاستنارة، وتلك الممارسات الشيطانيّة التي تبعد العابد عن سيره نحو الكمال. أمّا العلاقة بالكتاب المقدّس فكانت تأمّليّة بدون أيّ بحث ذي طابع جدليّ. أمّا قضيّة «الترحال» فكان لها بعض الأبعاد والواقعيّة، إذ إنّ بعض العابدين كانوا لا يستقرّون في مكان معيّن، فأضحوا عبئًا على الحياة الزهديّة.

ويبقى أنّ كتاب الأب سيداروس هو محطّة مهمّة في التشديد على الطابع المعاصر لحياة البرّيّة، إذ إنّها مرادف للحياة الروحيّة والباطنيّة والنسكيّة، بحيث تدعو الإنسان إلى لقاء الله وإلى الصمت والخلوة وإلى إنكار الذات وعدم التعلّق بالخليقة، وهي أمور أساسيّة في حياة الساعي إلى الاتّحاد بشخص السيّد في الإنجيل.

أ.م.د.

لاهوت التحرير في أفريقيا
ديزموند تُوتُو واللاهوت الأسود

تأليف الأب وليم سيدهم اليسوعيّ

سلسلة «دراسات لاهوتيّة»، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٧، ١٤٤ صفحة

سبق للأب وليم سيدهم أن أصدر في السلسلة المذكورة كتابًا بعنوان لاهوت التحرير في أميركا اللاتينيّة، وبكتابه الجديد عن «لاهوت التحرير في أفريقيا»، يقدّم إلى القارئ العربيّ شقًّا آخر، مكمّلًا، من تلك التجربة الفكريّة الملتزمة التي سعى أصحابها إلى فهم الإنجيل ورسالته فهمًا يتحوّل تجدّدًا وحياةً، وينبّئ آلام البشر وآمالهم.

وكتاب الأب سيدهم هذا يعتمد أساسًا على ترجمة بعض مقالات ومحاضرات الأسقف ديزموند توتو الذي حاز جائزة نوبل للسلام بسبب نضاله من أجل تحرير السود في بلده جنوب أفريقيا. ونستخلص من عرض المؤلّف وتحاليله أنّ الأفريقيّين، لا سيّما في بلد ديزموند توتو، هم شعب جدير بالاحترام، إذ استطاعوا أن يقاوموا جميع محاولات الإذابة والعزل بفضل صمودهم وإيمانهم بأنّ حقوق الشعوب لا يمكن أن تضيع مهما طغت أدوات القمع. فعلم لاهوت التحرير علم أصيل ما دامت جذوره تلتقي عمل الله ضمن تاريخ البشر في الماضي والحاضر والمستقبل. ومن هذا المنطلق نطرح السؤال: هل يقيّض لنا أن نطالع محاولات تكتب لاهوت التحرير في شرقنا، وهو الذي يعاني ما يعاني من مظالم لا سيّما بسبب مسألة فلسطين والقدس؟ شريطةَ الابتعاد عن كلّ تعصّب أو إيديولوجيّة!

أ.ك.ح.

الإيمان والتحرير

البعد الاجتماعيّ للحياة الروحيّة

تأليف كوستي بندلي

طبعة ثانية محدّثة وموسّعة

سلسلة «الإنجيل على دروب العصر»، ١٣، منشورات النور، بيروت، ١٩٩٧، ١٥٧ صفحة

ظهر هذا الكتاب القيّم، أوّل ما ظهر، في العام ١٩٨٢، وبعد أن مضى عليه ما يربو على عقد ونصف، رأى مؤلّفه أن «يحدّث وقائعه وأرقامه ومراجعها، مع استمرار الهاجس الأساسيّ الذي ألهم البحث منذ نشأته، ألا وهو التأكيد على الالتحام (...) بين الحياة الروحيّة و(...) وبين الالتزام الاجتماعيّ» (ص ٧). وقد سعى كوستي بندلي، المعروف بالتزامه في الحقل التربويّ والاجتماعيّ والكنسيّ، لتبيان طرحه، بحدوه ما يشهده عالمنا اليوم من تفاوت صارخ في اقتسام خيرات العالم بين الأمم، وما يعانيه مئات الملايين من الناس من حرمان على أنواعه. وشفع المؤلّف بحثه بالإحصاءات واستلهم تعاليم الكنيسة من ينابيعها، مبيّنًا أنّ بشارة يسوع وجماعته من بعده هي موجّهة أصلًا وفي الأولويّة إلى الفقراء. والصفحات المائة التي يتكوّن منها متن الكتاب ملحّقة بنحو خمسين للحواشي، وبلائحة من المراجع تناهز المائة والأربعين، أغلبها بالفرنسيّة. ويا ليته ذكّر، إلى جانب مراجعه القليلة بالعربيّة، كتابيّن يمتّان إلى موضوعه صدرا عن دار المشرق هما: لاهوت التحرير في أميركا اللاتينيّة، بقلم الأب وِلْيم سِيدهم اليسوعيّ، والثائر الأعزل، أوسكار روميرو، بقلم الأب سامي حلاّق اليسوعيّ، وكلا المؤلّفين نُشِرا في العام ١٩٩٣.

أ. كميل حشيمه

أبتِ إنّي أسلّم لك ذاتي

تأليف كارلو كارّتّو

نقله إلى العربيّة الأب يوحنّا الحبيب صادر الأنطوني

دار صادر، بيروت، ١٩٩٦، ١٧٣ صفحة

كارلو كارّتّو مؤلّف غير عاديّ، وصفه ناقل كتابه، الأب يوحنّا الحبيب صادر، وصفًا بليغًا بقوله إنّه «من قافلة رجال الإيمان» الأفذاذ، الذين «يخرقون الواقع» كي يبلغوا إلى أبعد من الأشياء المنظورة للوصول، عبر تخطّي الزمن، إلى المطلق، إلى الوحيد، ذاك الذي يُحيين الساعون المخلصون «أن يجدوه في كلّ مكان ويطيعونه كما يُطاع الملك أو الحبيب» (ص ٥).

والكتاب تأمّل مهذّب عميق، بأسلوب غير تقليديّ جريء، في الصلاة الجميلة التي ألّفها الأب شارل ده فوكو: «أبتِ إنّي أسلّمك ذاتي فافعل بي ما تشاء...». وسوف يجني منه المطالعون فائدةً روحيّة أكيدة ويقرأونه بمتعة، لا سيّما أنّه أنيق الإخراج صمّم غلافه حضرة الناقل بما عُرِف به من طول باع في الرسم. إلاّ أنّنا نردّ أن تلفت نظرة الأب المترجم

إلى الكثير من الأغلاط اللغويّة والعثرات في النقل من الأجنبيّة إلى العربيّة. وها إنّا نسوق بعض الأمثلة تحدونا الرغبة في أن تكون لغة الكتاب في مستوى المضمون البديع والإخراج الجميل.

وأوّل الأغلاط التي تطلع على القارئ وردت في العنوان: «إنّي أسلّم لك ذاتي»، والصحيح: إنّي أسلّمك ذاتي، أو أسلّم إليك، والصيغة الأولى أفضل.

وجاء في الصفحة ٨: «بقدر ما يلجُون في الكتاب بقدر ما يكتشفون...»، والصحيح: «بقدر ما يلجون في الكتاب يكتشفون».

وورد في ص ١٢: تفكّر بسأنّنا، وينبغي أن يقال: تفكّر في أنّنا.

وفي ص ٥٨ ورد: «أعمل منّي مثلما ما تريد»!؟

وفي ص ٥٩ تكرّر استعمال لفظة إنني مع همزة القطع.

وممّا جاء في ص ٥٩: «مصنوع من الله»، ومعروف أنّ صيغة المجهول لا تصحّ على هذا النحو، بل يعبّر عنها هنا كما يلي: «صَنَعه الله»، باستعمال الفعل المعلوم والمفعول به.

وجاء في ص ١٢٥: «إنّني أتمكّن أن أقول» وهي ترجمة حرفيّة للّفظة الأجنبيّة je puis (أو posso بالإيطاليّة)، وهي تُستعمل هنا أصلًا بمعناها المخفّف، فلا تشير إلى المقدرة والتمكّن، بل إلى الإمكانيّة. لذا ينبغي أن يقال: يمكنني القول...

وممّا ورد من ركيك الترجمة: «التكاتف مع بعضنا كـكتيبة» (ص ١٧٠). ويا ليت النصّ جاء على النحو الصحيح هذا: التكاتف بعضنا مع بعض، لأنّ كلمة «بعض» تعني الجزء، ولا يتمّ التكاتف مع الجزء، بل بين جزء وجزء آخر. أمّا لفظة «ككتيبة» فهي ثقيلة الوقع على السمع ومن الأفصح أن يستعاض عن الكاف باستعمال صيغة الحال.

وجاء في ص ١٧١: حتّى للغير مؤمنين، والصحيح أنّ الألف واللام لا يدخلان على لفظة «غير» بل على ما يضاف إليها: حتّى لغير المؤمنين...

هذا قليل من كثير نأمل أن يُستدرك في طبعة لاحقة نرجوها قريبة بإذن الله.

أ.ك.ح.

من منشورات المكتبة البولسيّة، ١٩٩٦-١٩٩٧

تبلّغنا من المكتبة البولسيّة الزاهرة سبعة كُتب صدرت في الآونة الأخيرة وفي أوقات متقاربة، تعالج جميعها موضوعات تهمّ الشبيبة والأحداث بالدرجة الأولى، ولكنّها جليلة الفائدة للبالغين أيضًا.

١ - أربعة من هذه الكتيّبات تدخل في سلسلة «الشهود» التي تعنى بسِيَر القدّيسين والصالحين، ألّفها بأسلوب نيّر مشوّق ثلاثة كتّاب مخضرمين ذاع صيتهم مربّين وروحانيّين، هم: الأب إميل الحاج البولسيّ الذي خطّ كتاب مثال الشباب (حياة القدّيس لويس

غونزاغا، الأمير الشابّ الذي تخلّى عن أمجاد أسرته ليتخرط في سلك الرهبانيّة اليسوعيّة ومات شهيد المحبّة في خدمة المصابين بالطاعون)، وكتاب أجير الخبّاز (سيرة القدّيس كليمان - ماري هوفباور، الفقير الذي خدم الفقراء والعمّال)؛ والأب إلياس كويتر المخلّصيّ الذي كتب عن الأب بشارة أبو مراد الناسك والرسول المتوفّى برائحة القداسة في العام ١٩٣٠ ودعوى تطويبه تسير بخطى حثيثة؛ والأستاذ جوزف إليان، الذي تَرْجَم، بكتابه راهب كفيفان، لابن منطقته، الأب نعمة الله كسّاب الحردينيّ الذي تمنّى البابا يوحنّا بولس الثاني أن يرفعه على المذابح قريبًا.

٢ - كتابان في سلسلة «الإيمان الحيّ» التي من شأنها «أن تعمّق معرفة ما يقع تحت الإيمان من مواضيع متنوّعة» لها تأثيرها في الحياة اليوميّة. أوّلهما بقلم الأب بيتر مدروس أستاذ الكتاب المقدّس في الأرض المقدّسة، وهو بعنوان شدّد يا ربّ ضعيف إيماننا، اعتراضات وتحدّيات؛ والثاني من تأليف الأستاذ ميشيل جبرائيل وعنوانه المورمُون، هل هم مسيحيّون؟وكلا الكتيّبين مختصر جامع مفيد.

٣ - كتاب كنْ مع ذاتك، يحمل الرقم ١٥ في سلسلة «مع الحياة»، ألّفه إيبوليت أورنُوره ونقله إلى العربيّة الأديب إيلي المعوشي. وهو كناية عن تأمّلات لكلّ يوم من أيّام الشهر.

ك. ح.

كتب أُهديت مُؤخّرًا إلى المجلّة

٥ ربّة السجنة في أحد العنصرة، بقلم الأباتي يوحنّا ثابت، منشورات رابطة البطريرك إسطفان الدويهيّ الثقافيّة، زغرتا - إهدن، الرقم ٢٤، ١٩٩٧، ٩٦ ص. المؤلّف من كبار المختصّين بالطقوس المارونيّة وكتيّبه هذا يمتاز بالعلم الواسع الرصين والوضوح في العرض.

٥ من أعلام الأدب العربيّ الحديث. سِيَر ودراسات، بقلم عيسى فتّوح، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٤، ٢٦٤ ص. هذا الكتاب هو الرابع الذي يعالج فيه عيسى فتّوح مثل هذه الموضوعات، وهو يقدّم معلوماته بأسلوب واضح وبيان جذّاب، وباتت مؤلّفاته في هذا المجال من المراجع الميسّرة الميسّرة.

• بالمائة أصلي، بقلم الأب هنري بولاد اليسوعي، نقله إلى العربيّة الأب كميل حشيمه اليسوعي، في «موسوعة المعرفة المسيحيّة»، قسم «الحياة الروحيّة»، ٧، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٧، ٥٠ ص. المؤلّف متأثّر جدًّا بفكر تيّار ده شردان، والمترجم سعى جهده ليبرز ما في النصّ من نَفَس شعريّ.

• شخصيّات بارزة في تاريخ لبنان المعاصر، بقلم الدكتور عصام كمال خليفة، بيروت، ١٩٩٧، ١٤٣ ص. مجموعة أبحاث قدّم المؤلّف معظمها في أثناء ندوات ومؤتمرات، وضمّها في كتاب واحد جزيل الفائدة لا سيّما أنّ الدكتور خليفة ظهر من خلاله واسع الاطّلاع، دقيق الملاحظة، صارم المنهج.

• *Des étapes décisives dans l'Histoire du Liban*, par Issam Khalifé, Beyrouth, 1997, 120 p. يدرس هذا الكتاب «مراحل حاسمة من تاريخ لبنان»، وهو أصلًا، شأنه شأن الكتاب السابق، مجموعة أبحاث قدّمت في أثناء مؤتمرات دوليّة. والموضوعات شائقة تتطرّق إلى أحوال السكّان والاقتصاد في ناحية بشرّي إبّان القرن ١٦، والأوقاف في لبنان الشماليّ، وعلاقة الثورات الاجتماعيّة في لبنان بالثورة الفرنسيّة، وسياسة نرنسا وإنكلترا في ما يتعلّق بمسألة لبنان الكبير وتقسيم بلاد المشرق... فحبّذا لو أُتيح للمؤلّف الهمّام أن يجعل من كلّ من فصول هذا السِفْر كتابًا قائمًا بذاته!